**سيّد البطحاء أبو طالب كافل رسول الله وناصره**

المجمع العالمي لأهل البيت

مقدّمة

الفصل الأوّل: رئاسة أبي طالب في عمقها التاريخي

الفصل الثاني: الصفات الشخصية لأبي طالب

زواج أبي طالب من فاطمة بنت أسد

أبو طالب يخلف أباه

أبو طالب شاعراً

الفصل الثالث: مستوى علاقة أبي طالب مع النبيّ(ص)

الفصل الرابع: تنوع أساليب أبي طالب ودعمه النبي(ص)

موقف أبي طالب أمام هذه القرارات والأساليب

الموقف الأول

الموقف الثاني

الموقف الثالث

الموقف الرابع

الموقف الخامس

الموقف السادس

الفصل الخامس: موقف الرسول(ص) والأئمة (ع) والصحابة من أبي طالب

أولاً: موقف الرسول(ص)

ثانياً: موقف الأئمة(ع)

ثالثاً: الصحابة يشهدون بإسلام أبي طالب(ع)

الفصل السادس : أسطورة كفر أبي طالب (رضي الله عنه)

أولاً: الجذور التاريخية لتكفير أبي طالب

ثانياً : تصاريح وشهادات بإيمان أبي طالب(ع)

ثالثاً: مناقشة مزاعم القائلين بكفر أبي طالب

مواقع النظر في هذه الرواية

خلاصة البحث

## مقدّمة

تعرّض قسم من الصحابة من أتباع علي(عليه السلام) بعد رسول الله(صلى الله عليه وآله)الى الاضطهاد والإقصاء والتنكيل، كما تعرّض القسم الآخر فيما بعد الى القتل والحرمان والتشريد.

ولم تكتف السياسة عند هذا الحد; بل نهجت أساليب أُخرى للنيل من خصومها ومعارضيها، منها قضية تكفير الآباء والأجداد.

وترسّخ هذا الأُسلوب في العصر الأموي، حين كان الصراع مشتعلاً على أوجه بين الخط الهاشمي والأُموي الذي خسر الجولة أيام رسول الله(صلى الله عليه وآله)، وجاء العباسيون من بعدهم فوجّهوا هذا الأُسلوب نحو أغراضهم السياسية كما هو التوظيف الأُموي.

ولم تكن ظاهرة التكفير مسؤولية دينية بقدر ماهي سياسية، فليس هناك مثلاً أي نص يجزم بأهمية تكفير أبي طالب على وجه الخصوص، سوى نصوص ملفقة تفتقد القيمة العلمية، كما سنبيّنه في طيات هذا البحث، أمّا التاريخ فلا يسجل لنا ولو واقعة واحدة من حياة أبي طالب تثبت كفره.

والجدير بالذكر أن قضية إسلام أبي طالب لم تكن محل جدل طيلة حكم الخلفاء. الأمر الذي يؤكّد الأُصول الأُموية لهذه القضية في واحدة من مساعيهم للنيل من البيت الهاشمي، الذي ملأت مناقبه ومفاخره الذاكرة الإسلامية، ولا تخفى أهمية أبي طالب الذي يراه البيت الأُموي المنافس الألدّ، الذي حاز الشرف في قريش، واكتسح أبا سفيان زعيم أُميّة...

من هنا سوف نتناول في هذه الدراسة، إثبات إسلام أبي طالب ضمن عدة فصول.

في الفصل الأول: نتعرض فيه الى الخلفية التاريخية التي تولّدبسببها أبو طالب الرئاسة لقريش، كونه يمثل امتداد الخط الإبراهيمي الحنيف.

وفي الفصل الثاني: نعرّف بهوية أبي طالب الشخصية وصفاته وسيرته العامة.

وفي الفصل الثالث: نسلط الضوء على مستوى علاقة أبي طالب(عليه السلام)مع النبي(صلى الله عليه وآله).

وفي الفصل الرابع: سنتناول حوارات أبي طالب(عليه السلام) مع قريش، وتنوع أساليبه وكيفية إعلان وقوفه الى جانب النبي(صلى الله عليه وآله) .

واخترنا في الفصل الخامس: نماذج من تصاريح ومواقف النبي(صلى الله عليه وآله)والأئمة(عليهم السلام)والصحابة في أبي طالب(عليه السلام).

أمّا الفصل السادس والأخير: فتناولنا فيه شبهة كفر أبي طالب(عليه السلام)والجذور التاريخية التي أدت إليها، والأدلة الشرعية التي اعتمدتها ، مناقشةً ونقداً.

# الفصل الأوّل

## رئاسة أبي طالب في عمقها التاريخي

عاشت البشرية في فترة ما قبل الرسالة أسوأ حالات التردي والانحطاط الحضاري، من الظلم والبؤس والاستبداد، وقد لخّص القرآن الكريم تلك الحالة بقوله تعالى: (وإن كانوا من قبل لفي ضلال مبين) [١].

ولم يكن العرب أحسن حالاً من باقي المجتمعات، بل إنهم جزء لا ينفصل من هذا التردي والسقوط الذي عمّ البشرية جمعاء. فكان الجهل والخرافة والظلم هي الظواهر الحاكمة آنذاك.

فنجد مثلاً الحرب هي الأسلوب الأمثل لحل المشكلات، وهي المحور الذي تدور حوله رحى الأبنية الثقافية والقانونية والاقتصادية.

فالحكم تتفرد به الطبقة الغنية والقوية، فتشرّع هذه الطبقة للمستضعفين ما يحلو لها من القوانين التي تحمي سيادتهم وسلطتهم.

ولذا نجد طبقة الفقراء والعبيد والمرأة ليس لهم الحق في تقرير حياتهم.

ونلاحظ العرب قبل البعثة لم يكونوا أهل كتاب ولا دين، وكانت عبادة الأصنام والأوثان والجن والملائكة، هي اهتمامهم الوحيد أمام تطلعاتهم الحياتية والمستقبلية، فكان المؤثّر فيها هم الكهنة واليهود.

وقد لخّصت فاطمة الزهراء(عليها السلام) حالة العرب والتدهور الذي أصابهم قبل بعثة الرسول(صلى الله عليه وآله)، بقولها: فرأى ـ الرسول ـ الأُمم فرقاً في أديانها، عكُفاً على نيرانها، عابدةً لأوثانها، منكرة لله مع عرفانها... الى أن قالت: تشربون الطرق [٢] وتقتاتون القد [٣] ،

أذلة خاسئين، تخافون أن يتخطفكم الناس من حولكم، فأنقذكم الله بأبي محمد(صلى الله عليه وآله)، بعد اللتيا والتي، وبعد أن مُني بُهم [٤] الرجال وذؤبان [٥] العرب ومردة أهل الكتاب [٦].

فمكة البلد الذي يعتبر من أهم المراكز عند العرب من الناحية الدينية والتجارية والثقافية، وذات العمق الديني والسياسي، تعيش حالة من السقوط الحضاري والتردي الثقافي والاجتماعي بكل معانيه، كما هي عليه الحالة في البلدان الأُخرى.

وإن كانت تعتبر في السابق بلد التوحيد ومنطلق الأديان من أيام إبراهيم وابنه إسماعيل.

لأن البيت الحرام المركز الديني المقدس كان قد أسسه النبي إبراهيم(عليه السلام)، ومن هناك تألقت مكة بين الناس وغدا شعاع توحيدها يعكس نداء إبراهيم الموحّد، وحادثة تكسيره لمبادئ الوثنية والطغيان لازالت ماثلة في القلوب والأذهان.

وبعد هذه الانطلاقة أصبحت مكة وبيت الله الحرام تحت رعاية أبناء إبراهيم، واستمرت الحماية والسيادة الى أن توفي (نبت) بن إسماعيل، وتحولت تلك السيادة من بعده الى قبيلة (جرهم)، أخوال ولد إسماعيل التي لم تُجد الرعاية على أحسن وجه، مما تعرضت لنزاع مرير مع قبيلة خزاعة التي كانت تطمع بالاستيلاء على مكة والبيت الحرام، وأخيراً تمكنت قبيلة خزاعة أن تزيح الجراهمة وتطردهم عن البيت الحرام.

وبعد أن استتب الأمر لصالحها، جاء زعيمهم عمرو بن لحُى الخزاعي بالوثنية من الشام الى مكة، فغيّر كثيراً من معالم مكة الحضارية والدينية، وأصبحت إرشاداته وتعاليمه ووصاياه ديناً يتمسك به قومه.

فشرّع لهم ضلالات كما شاء هواه وتريده شهواته فنصب الأصنام حول مكة، وأتى بالصنم (هُبل) من أرض الجزيرة ونصبه في بطن مكة وغيّر من دين إبراهيم، وهو أول من أحلّ أكل الميتة، فإن القبائل من ولد إسماعيل كانت ما تزال تحرّم أكل الميتة، وقد زعم عمرو بن لُحى أن الله تعالى لا يرضى تحريم أكل الميتة، وكان يقول: كيف لا تأكلون ما قتل الله وتأكلون ما قتلتم؟! [٧].

وكان يقول بأن الربّ يشتّي بالطائف عند اللات ويصيّف عند العزّى. فأطاعه قومه وصدّقوه، لأنه كان يطعمهم ويكسوهم في الموسم، ويحمي المستجير وينحر لهم الإبل التي كانت تقدر بالألف ، فانكبّوا على تلك العبادة وأخذوا يهدون إليها كما يهدون الى الكعبة، الى أن جاء قصي بن كلاب من أجداد الرسول(صلى الله عليه وآله) ومن ذرية إبراهيم، الذي كان مبعداً مع أُمه الى الشام

**[٨]، فاستنهض قريشاً وشحذ هممها ودعاها الى مواجهة خزاعة، فأجابوه الى ذلك وبعد أن حشد قواهم ، لأنه يرى نفسه أولى بأمر مكة من خزاعة، ولأن قريشاً أقرب الى إسماعيل من خزاعة، ولهذا استطاع أن يهزم خزاعة من مكة ومن البيت الحرام، بعد معركة أُريقت فيها دماء كثيرة [٩].**

**وبعد هزيمة خزاعة أمام قصي استمر هو بتوحيد كلمة قريش، بعد أن كانت طرائق متفرقة حتى لقّبوه (بمجمع) أي الجامع لقريش [١٠].**

**ومنها أصبح قصيّ رئيساً لقريش، فأمرهم أن يبنوا بيوتهم داخل الحرم حول البيت، وجعلوا أبواب بيوتهم لجهته لكل بطن منه باب ينسب إليه، كباب بني شيبة وباب بني سهم وباب بني مخزوم وباب بني جمح.**

**وبنى قصي دار الندوة وهي أول دار بُنيت بمكة، وهو أول رجل من بني كنانة ملك وحكم، وهو أول من أوقد النار بمزدلفة ليراها الناس من عرفة ليلة النفر.**

**وحاز قصي بتلك الإنجازات شرف مكة كلّه، فكان بيده السقاية والرفادة والجباية والندوة واللواء والقيادة.**

**وخلف قصي من بعده عبدالدار وعبدمناف، وقد خص ولده عبدمناف بالسقاية والرئاسة والدار لعبد الدار.**

**وبعد موت الأخوين تولّى أولاد عبدمناف تلك المهام كلّها والذين هم أشرف بطون قريش، وهم هاشم والمطلب وعبد شمس ونوفل، فاتفق الأُخوة جميعاً على أن تكون الرئاسة وتولي كل هذه الأُمور بعهدة هاشم [١١].**

**وقد أحسن هاشم الرفادة والرئاسة التي سنّها جدّه قصي، فكان إذا حضر موسم الحج قام في قريش فقال: يا معشر قريش! إنكم جيران الله وأهل بيته وإنّكم يأتيكم في هذا الموسم زوّار الله، يعظّمون حرمة بيته وهم ضيف الله وأحق الضيف بالكرامة ضيفه، وقد خصّكم الله بذلك.**

**وكان هاشم يُخرج من كل سنة مالاً كثيراً، ويأمر بحياض من أدم فتجعل في موضع زمزم، ثم يسقى فيها من الآبار التي بمكة، فيشرب منها الحجيج.**

**وكان يطعمهم بمكة ومنى ومزدلفة وجمح، وكان يثرد لهم الخبز واللحم والسمن والسويق ويحمل لهم المياه، فسمّي هاشماً [١٢].**

وبعد وفاة عبدشمس أخي هاشم أسفر أُمية النزق الطائش بالحقد على هاشم، وصعّد الصراع وشن حرباً باردة ضده وحاول أن يستقطب قريشاً من أجل إزاحة هاشم عن موقعه، فكلف نفسه أن يفعل كما يفعل هاشم من إطعام قريش، فعجز من أن يرقى الى أخلاق هاشم لسوء طويّته، فشمت به الناس وعابوه على هذه المزايدة فلم يرتدع وغضب لهذا الاحتجاج [١٣].

وفي ليلة من الليالي دعا هاشم أُمية فقال له: إن لي سناً وإن لي حقاً عليك، وقد بلغني ما أحبّ أن تدفعه عنك فاتق الله في قالتك عني، فأجاب أُمية بحماقة وطيش: ما تكلمت إلاّ حقّاً . فابتسم سيد قريش وأجابه إن شرفي شرفك وإن تمسه لا تعزّ .

وأخيراً راهن أُميّة هاشماً على خمسين ناقة سود الحدق تنحر بمكة وعلى جلانه عشر سنين، ظنّاً منه في أن يتخلص من هاشم، ويتولّى الرئاسة بدله، وجعلا حكماً بينهما الكاهن الخزاعي جد عمرو بن الحمق، وكانت النتيجة لصالح هاشم، وخسر أُمية الجولة أمام سيد قريش .

فأخذ هاشم الإبل فنحرها وأطعم لحمها من حضر، وخرج أُمية الى الشام فأقام به عشر سنين [١٤].

وأُمية لم يكن بهذا المستوى من المنافسة مع هاشم; إلاّ أنه حظي بدعم من بني عبدشمس. وكان أُمية صاحب عهار، وكان يعرض لامرأة من بني زُهرة، فضربه رجل منهم بالسيف، وأراد بنو أُمية ومن تابعهم إخراج زُهرة من مكة، فلم يستطيعوا.

وصنع أُمية في الجاهلية شيئاً لم يصنعه أحد قبله من العرب، حيث زوّج ابنه أبا عمرو بن أُمية امرأته في حياته منها [١٥].

وبعد وفاة هاشم وتولي الرئاسة والرفادة والسقاية ابنه عبدالمطلب، انتقل أُمية بالصراع مع عبدالمطلب، واستمرت الخصومة بينهما طويلاً، الى أن تمكن عبدالمطلب من هزيمة أُمية والتخلص من شرّه عندما راهنه في سباق بين فرسين، ووضع لهذا الرهان شيئاً ثقيلاً ولم يقصد عبدالمطلب الخسارة لأُمية فقط; بل أراد فوق ذلك التحقير والقضاء على الفتنة التي طالما كان يؤجّجها أُمية [١٦].

وقد فرض هذا الرهان مائة من الإبل وعشرة من العبيد وعشرة من الإماء واستعباد سنة كاملة، ويضاف الى ذلك جزّ ناصية المغلوب.

ونزل الفرسان في الميدان، وتجمع الناس ليشهدوا هذا المشهد، وعبدالمطلب هادئ مطمئن واثق من نفسه راض بما يكون، ولم تفارق الابتسامة شفتيه حتى رأى الناس فرس عبدالمطلب بلغ الغاية قبل فرس أُمية، وبهذا ربح عبدالمطلب الشرط [١٧].

ويدل على صحة هذه الواقعة التاريخية ما افتخر به عبدالله بن جعفر على يزيد في حضور معاوية في حديث جاء فيه: إن عبدالله قال ليزيد: بأي آبائك تفاخرني؟ بحرب الذي أجرناه؟ أم بأُميّة الذي ملكناه؟ أم بعبد شمس الذي كفلناه؟

قال ذلك على مسمع من معاوية، فأقرّ معاوية فخره، وأمر يزيد أن لا يفاخر الهاشميين; لأنهم قوم لا يجهلون ما علموا.

فعبد المطلب الذي أصبح سيداً لقريش بعد أبيه هاشم وعمه المطلب [١٨]; كان له من السجايا والصفات ما تؤهله أن يكون سيداً لقومه، فهو ابن هاشم الذي أشبع البطون وقت المجاعة. وبذلك تحول القرشيون من فقراء معدمين الى أغنياء متخمين، لأن مال قريش وغير قريش هو من فضل رحلتي الشتاء والصيف اللتين دبّرهما هاشم.

وعبدالمطلب أندى قريش كفاً، وأعظمهم حلماً وأشرفهم وجهاً، وأمدهم جسماً وأطهرهم ذيلاً وأعفّهم أزاراً، كان أبعد رجل عن دنيّة، وأدنى رجل الى كمال نفس ونقاء روح، وهو أول من طيّب غار حراء بذكر الله، فإنه كان يذهب إليه.

فإذا استهلّ رمضان صعد حراء وأطعم المساكين، ورفع من مائدته الى الطير والوحوش في رؤوس الجبال.

ومن سجاياه وأخلاقه أنه كان لا يفكر إلاّ بالناس ومصالحهم وقضاء حوائجهم، ولا فرق عنده بين القريب والبعيد.

وكانت سقاية الحاج بيده فهو وحده الذي كان يدبّر أمر السقاية ورعاية الحجّاج، ولذا تحرّك نحو حفر زمزم لغرض توفير مزيد من الماء، وفي أثناء هذه المهمة الشاقة وسط الأعداء وجد غزالين من ذهب مما أ لّب الخصوم عليه أكثر، وبعد أن تم إنجاز حفر البئر حيث تدفق الماء العذب من داخله تعاظم شأن عبدالمطلب، وتعاظم معه حسدهم إيّاه [١٩].

وبعد هذه الحادثة التي لم يكن الى جانبه فيها غير ولده الوحيد الحارث، نذر أن يذبح أحد أولاده الذكور إذا بلغوا العشرة.

وبعد أن رزقه الله الأولاد، أحضرهم جميعاً لغرض تنفيذ النذر، ووقع الذبح عن طريق القرعة على عبدالله والد النبي(صلى الله عليه وآله)، لكن العرب أفدوه بدية [٢٠].

ومرت على قريش سنة منعت فيها السماء، فأصبح الناس في محنة وشقاء، فلجأوا الى عبدالمطلب ليستسقي لهم، إذعاناً منهم بفضله وصحة دينه، فأحضر جمعاً من أولاده ومعهم رسول الله(صلى الله عليه وآله)ومضى بهم الى جبل أبي قبيس، وقال: (اللهم هؤلاء عبيدك وبنو عبيدك ـ واستمر في الدعاء الى أن قال ـ فاذهب عنا الجدب وآتنا بالحياة والخصب) وبعد أن أتم دعاءه هطلت السماء بالمطر [٢١].

وأما حادثة الفيل التي قال فيها لأبرهة: أردد عليَّ إبلي ودونك والبيت فإنّ له ربّاً سيمنعه. فأمر إبرهة بردّ الإبل ، فلما قبضها عبدالمطلب جعلها هدياً وفرّقها في الحرم من غير راع ولا رقيب، ثم توجه نحو منسكه غار حراء ومعه عمرو بن عائذ المخزومي ومطعم بن عدي وأبو مسعود الثقفي، واتجه بكلّه الى ربّه في الدعاء:

لهم إن المرء يمنع رحله فامنع رحالك *** لا يغلبنّ صليبهم ومحالهم أبداً محالك

إن كنت تاركهم وقبلتنا فأمرٌ ما بدا لك [٢٢]

فأرسل الله تعالى الطير الأبابيل ترميهم بحجارة من سجّيل . ومن هذه الحوادث وغيرها استدلّ الكثير على إيمان عبدالمطلب وعلوّ منزلته [٢٣].

فعبد المطلب رفض عبادة الأوثان والأصنام، ووحد الله عزّ وجل ووفى بالنذر وسن سنناً نزل القرآن بأكثرها، وجاءت السنّة الشريفة من رسول الله(صلى الله عليه وآله)، بها، ومنها: الوفاء بالنذر، ومائة من الإبل في الديّة وأن لا تنكح ذات محرم، ولا تؤتى البيوت من ظهورها، وقطع يد السارق ، والنهي عن قتل المؤودة، وتحريم الخمر، وتحريم الزنا والحد عليه، والقرعة، وأن لا يطوف أحد بالبيت عرياناً، وإضافة الضيف ، وأن لا ينفقوا إذا حجّوا إلاّ من طيب أموالهم، وتعظيم الأشهر الحرم، ونفي ذوات الرايات [٢٤].

وفي السنة الثامنة من مولد النبي(صلى الله عليه وآله) توفي عبدالمطلب وقد أوصى ولده البار أباطالب برعاية محمد(صلى الله عليه وآله) وكفالته بعده، وأنشد في ذلك يقول:

أُوصِيكَ يا عبدَ مَنَاف بَعْدي *** فارَقَه وهْوَ ضَجيعُ المَهْدِ

فكنتُ كالأُمّ له في الوَجدِ *** بمُفْرَد بَعْدَ أبيه فَرْدِ

لِدَفْعِ ضَيْم أوْ لشَدّ عَقْدِ [٢٥]

# الفصل الثاني

## الصفات الشخصية لأبي طالب

اسمه: عبد مناف بن عبدالمطلب بن هاشم بن عبدمناف ابن قصي .

لقبه: أبو طالب، وسيد البطحاء، وشيخ قريش، ورئيس مكة وبيضة البلد، والشيخ، وشيخ الأباطح [٢٦] .

و(أبو طالب) لقب غلب عليه حتى لم يُعرف أحد يناديه باسمه الأصلي (عبدمناف) [٢٧].

ولادته: بعد حفر زمزم وقبل عام الفيل ومولد النبي(صلى الله عليه وآله)بخمس وثلاثين سنة.

وفاته: توفي في النصف من شهر شوال في السنة العاشرة من النبوة وعمره حين توفي بضع وثمانون سنة، قبل الهجرة بثلاث سنوات، وذلك بعد خروجه من الشِعب بثمانية أشهر وواحد وعشرين يوماً [٢٨].

أُخوته: أُخوته من أُمه وأبيه عبدالله والد النبي والزبير، وأُمهم فاطمة بنت عمرو بن العائد من بني مخزوم وهي آخر زوجات عبدالمطلب .

سيادته على قومه: كان أبو طالب يتمتع بشخصية قوية مهابة في نفوس قومه طاهراً مستقيماً يقلدونه في أفعاله، ولا يتقدمونه بأمر إلاّ بعد أن يستشيروه ، وكانت رئاسة قريش بعد عبدالمطلب لأبي طالب، وكان أمره نافذاً [٢٩].

وجاء في حديث عفيف الكندي: أنه لما رأى النبي(صلى الله عليه وآله)يصلّي في مبدأ الدعوة، ومعه امرأة قال: فقلت للعباس: أي شيء هذا؟ قال هذا ابن أخي يزعم أنه رسول من الله الى الناس، ولم يتبعه على قوله إلاّ هذا الغلام، وهو ابن أخي أيضاً، وهذه الإمرأة هي زوجته ، قال، فقلت : فما الذي تقولونه أنتم؟

قال: ننظر ما يفعل الشيخ، يعني أبا طالب [٣٠].

وكانت لعبدالمطلب علاقة خاصة مع أبي طالب لما كان يعرفه من علوّ منزلته، وكان يتفرس به الخير، فهو الامتداد للسلالة الطاهرة من أجداد النبي والوارث لقيمهم ومواقعهم الاجتماعية والسياسية.

وقيل لأكثم بن صيفي ـ وكان من المعمّرين ـ : إنك لأعلم أهل زمانك، وأحكمهم وأحلمهم، فقال: ولم لا أكون كذلك؟ وقد جالست أبا طالب بن عبدالمطلب دهره، وعبدالمطلب دهره، وهاشماً دهره، وعبدمناف دهره، وقصيّاً دهره، وكل هؤلاء سادات أبناء سادات فتخلّقت بأخلاقهم وتعلّمت من حلمهم واقتبست سؤددهم ، واتبعت آثارهم [٣١].

وطلب عبدالمطلب من ولده أبي طالب أن يتولى كفالة النبي(صلى الله عليه وآله)، فكان عند حسن ظنّ أبيه فرعاه وعطف عليه، ولم يجعله فقط كواحد من أبنائه بل كان يقدّمه عليهم أجمعين [٣٢].

وارتبط أبو طالب بالرسول وانشدّ إليه عاطفياً، فكان يحبّه حباً شديداً، وكان لا ينام إلاّ الى جنبه، ويخرج فيخرج معه.

وصُبَّ به أبو طالب صبابة لم يُصَبَّ مثلها بشيء قط.

وكان يخصّه بالطعام، فإذا أكل عيال أبي طالب جميعاً أو فرادى لم يشبعوا، وإذا أكل معهم رسول الله(صلى الله عليه وآله) شبعوا، فكان إذا أراد أن يغذّيهم قال : كما أنتم حتى يأتي ولدي. فيأتي رسول الله(صلى الله عليه وآله)فيأكل معهم فكانوا يفضلون من طعامهم، وإن لم يكن معهم لم يشبعوا فيقول أبو طالب : إنّك لمُبارك.

وكان الصبيان من أولاد أبي طالب يصبحون رُمصاً شعثاً ويصبح رسول الله(صلى الله عليه وآله) دهيناً كحيلاً [٣٣].

وشبّ رسول الله(صلى الله عليه وآله) في كنف أبي طالب يكلؤه ويحفظه ويحوطه من أُمور الجاهلية ومعائبها لما يريد من كرامته [٣٤].

## زواج أبي طالب من فاطمة بنت أسد

أبوها أسد بن هاشم بن عبدمناف بن قصي، وهي أوّل هاشمية تتزوج من هاشمي فولدت له: طالباً وعقيلاً وجعفراً وعليّاً.

وكانت فاطمة لرسول الله (صلى الله عليه وآله) بمنزلة الأُم الحنونة، فتربّى(صلى الله عليه وآله)في حجرها وكان شاكراً لبرِّها، وكان يسمِّيها أُمي، وكانت هي تفضله على أولادها في البرّ. سبقت الى الإسلام وهاجرت الى المدينة، ولما توفيت كفّنها رسول الله(صلى الله عليه وآله) بقميصه، وأمر أن يحفر قبرها فلما بلغوا لحدها حفره بيده واضطجع فيه وقال:

اللهم اغفر لأُمي فاطمة بنت أسد ولقّنها حجّتها ووسّع عليها مدخلها، فقيل: يا رسول الله! رأيناك صنعت شيئاً لم تكن تصنعه بأحد قبلها فقال: ألبستها قميصي لتلبس من ثياب الجنة ، واضطجعت في قبرها ليوسّعه الله عليها، وتأمن من ضغطة القبر، إنها كانت من أحسن خلق الله صنعاً إليَّ بعد أبي طالب.

وروت فاطمة عن رسول الله(صلى الله عليه وآله) ستة وأربعين حديثاً [٣٥].

وقال رسول الله(صلى الله عليه وآله) : هذه المرأة كانت أُمي بعد أُمي التي ولدتني، إن أبا طالب كان يصنع الصنيع وتكون له المأدبة ، وكان يجمعنا على طعامه فكانت هذه المرأة تفضل من كلّه نصيباً فأعود فيه [٣٦].

وقال ابن عباس: هي أوّل امرأة هاجرت من مكة الى المدينة ماشية حافية [٣٧].

ولا يفوتنا خطبة أبي طالب التي تكلّم بها عندما أقدم على زواج فاطمة بنت أسد، الكاشفة عن قوّة شخصيته ومستوى تمسّكه بخط النبوّة، حيث نسب نفسه وسيادته لقريش الى النبي إبراهيم .

فقال: الحمد لله رب العرش العظيم، والمقام الكريم، والمشعر والحطيم، الذي اصطفانا أعلاماً وسدنةً وعرفاء، خُلّصاً، وقادةً وحجبة بهاليل [٣٨] أطهاراً من الخنا والريب والأذى، والعيب [٣٩].

وأقام لنا المشاعر، وفضّلنا على العشائر، نخب آل إبراهيم وصفوته وزرع إسماعيل.

ثم قال: وقد تزوجت فاطمة بنت أسد وسقت المهر ونفّذت الأمر فاسألوه وأشهدوا، فقال أبوها أسد: زوّجناك ورضينا بك، ثم نحر أبو طالب الإبل وأطعم الناس سبعة أيام، فقال أُمية بن أبي الصلت يذكر ذلك:

أغمرنا عرس أبي طالب فنازلوه سبعة *** أُحصيت فكان عرساً ليّن الحالب

اقرأه البدو بأقطاره أيّامها للرجل الحاسب *** من راجل خفّ ومن راكب[٤٠]

**أبو طالب يخلف أباه:**

**ورث أبو طالب كل مناصب أبيه ومكانته الاجتماعية، فقد كان قويّ الشخصيّة سامياً في أخلاقه، شجاعاً طيب النفس، فأصبح سيد بني هاشم، ولم يكن هو الابن الأكبر لعبد المطلب.**

**واحتل السيادة لقريش رغم فقره، لأن السيادة تحتاج الى المال الكثير وهو لا مال له، ولذا قيل: لم يكن أحد يسود قريشاً بلا مال سوى أبي طالب.**

**قال الإمام علي بن أبي طالب(عليه السلام) : أبي ساد فقيراً وما ساد فقير قبله [٤١].**

**وحين تولّيه لمكانة أبيه أوكل سقاية الحاج لأخيه العباس بن عبدالمطلب، لأن هذه المهمة تحتاج الإنفاق الكثير، والعباس لديه المال.**

**وكان أبو طالب واسع التفكير أصيلاً في تربيته، إنه الفرع الذي التزم بمبادئ الحنفية. فنجده أوّل من سنّ القسامة في الجاهلية في دم عمر بن علقمة ، ثم أثبتتها السنّة في الإسلام [٤٢].**

**وكان أبو طالب ذا هيبة ومكانة عالية في الجاهلية، فكان يباشر جبر ما انكسر من مواشيه وأنعامه بيده فإذا جاء الوافد إليه وهبها مع رعاتها له.**

**وكان نديم أبي طالب في الجاهلية مسافر بن عمرو، وهو أحد أزواد الركب، وإنما سُمي بذلك لأنهم كانوا لا يدعون غريباً ولا مارّاً ولا محتاجاً يجتاز بهم إلاّ أنزلوه وتكفّلوا به حتى يظعن [٤٣].**

**أبو طالب شاعراً**

**قيل لتأبّط شراً، الشاعر المعروف واسمه ثابت بن جابر: مَن سيد العرب؟**

**فقال: أخبركم سيد العرب أبو طالب.**

**وقيل لأكثم: ممّن تعلمت الرئاسة والحكم والسيادة؟**

**فقال: من حليف الحلم والأدب، سيد العجم والعرب أبي طالب [٤٤].**

---

[١] الجمعة : ٢.

[٢] الطرق: ماء السماء الذي تبول فيه الإبل وتبعر ، الصحاح : ١٥١٣/٤ .

[٣] سير يُقد من جلد غير مدبوغ ، النهاية : ٣١/٤ .

[٤] أي ابتلي، وبهم الرجال كصُرد الشجعان منهم لأنهم لشدة بأسهم لا يدرون أين يؤتون؟

[٥] ذؤبان العرب: لصوصهم وصعاليكهم الذين لا مال لهم.

[٦] الاحتجاج : ٢٥٧/١، باب خطبة الزهراء البتول(عليها السلام).

[٧] تاريخ اليعقوبي : ٣٠٧/١ أديان العرب، والسيرة النبوية لابن كثير: ١ / ٦٢، ٦٣، باب ذكر بني إسماعيل وهم عرب الحجاز وما كان من أُمور الجاهلية ، صيرورة الأمر الى خزاعة.

[٨] تاريخ اليعقوبي : ٢٨٨/١ ـ ٢٨٩ باب ولد إسماعيل.

[٩] تاريخ اليعقوبي : ٢٨٨/١ ـ ٢٨٩ باب ولد إسماعيل .

[١٠] المصدر السابق : ٢٩٠/١.

[١١] طبقات ابن سعد: ٧٧/١ ترجمة هاشم بن مناف.

[١٢] تاريخ اليعقوبي : ٢٩٣/١، باب ولد إسماعيل بن إبراهيم، والنزاع والتخاصم للمقريزي: ٤٠ في أصل المفاخرة بين بني هاشم وبنـــي أُمية، ترجمة هاشم .

[١٣] الطبقات لابن سعد : ٧٦/١، ترجمة هاشم بن عبد مناف والسيرة الحلبية: ٦٤ باب نسبه الشريف(صلى الله عليه وآله).

[١٤] النزاع والتخاصم : ٤١، باب في أصل المفاخرة بين بني هاشم وبني أُمية، ترجمة هاشم.

[١٥] النزاع والتخاصم : ٤٢، باب في أصل المفاخرة بين بني هاشم وبني أُمية، ترجمة أُمية.

[١٦] المصدر السابق، والطبقات لابن سعد : ٧٦/١ .

[١٧] الطبقات الكبرى لابن سعد: ٧٨/١ والسيرة الحلبية : ٤/١، ترجمة عبدالمطلب .

[١٨] تاريخ اليعقوبي : ٢٩٧/١، باب ولد إسماعيل بن إبراهيم.

[١٩] السيرة النبوية لابن كثير: ١٧٣/١ ذكر تجديد حفر زمزم.

[٢٠] تاريخ اليعقوبي : ٣٠٣/١ باب ولد إسماعيل بن إبراهيم.

[٢١] تاريخ اليعقوبي : ٣٣٤/١ باب مولد رسول الله(صلى الله عليه وآله) .

[٢٢] المصدر السابق : ٣٠٥/١ باب ولد إسماعيل بن إبراهيم.

[٢٣] تاريخ اليعقوبي : ٣٠٤/١ باب ولد إسماعيل بن إبراهيم، الملل والنحل للشهرستاني: ٢٣٧، الحاوي للفتاوي / للسيوطي: ٤٢٦/٢.

[٢٤] تاريخ اليعقوبي : ٣٣١/١ و ٣٣٢، باب مولد رسول الله(صلى الله عليه وآله) .

[٢٥] عمدة الطالب: ٦ والمناقب لابن شهرآشوب : ١ / ٣٦ ، ومما يثبت إيمان عبدالمطلبما جاء في تاريخ اليعقوبي: ١ / ٣٣٥، باب مولد رسول الله(صلى الله عليه وآله)ط محققة/مؤسسة الأعلمي.

[٢٦] عمدة الطالب في أنساب أبي طالب: ٢٠ ومسند أحمد : ٢٠٩/١ ومستدرك الصحيحين: ١٨٣/٣.

[٢٧] قال ابن حجر العسقلاني في الإصابة، اشتهر بكنيته واسمه عبدمناف على المشهور وقيل: عمران، الإصابة في تمييز الصحابة: ١١٥/٤، ترجمة أبو طالب رقم ٦٨٥.

اسم أبي طالب هو عبد مناف على الصحيح، وقيل إنّ اسمه عمران، وهي رواية ضعيفة رواها أبو بكر محمد بن عبدالله الطرسوسي النسابة، وقيل: إسمه كنيته، ويروى ذلك عن أبي علي محمّد بن إبراهيم بن عبدالله بن جعفر الأعرج، وزعم أنّه رأى بخطّ أمير المؤمنين(عليه السلام) وكتب علي بن أبو طالب، قال ولكن حدّثني تاج الدين محمد بن أبي القاسم النسابة، وجدّي لأُمّي محمّد بن الحسين الأسدي أن الّذي كان في آخر ذلك المصحف علي بن أبي طالب، ولكن الياء مشتبهة بالواو، في الخط الكوفي والصحيح أنّ اسمه عبد مناف، وبذلك نطقت وصيّة أبيه عبدالمطّلب، حين أوصى إليه رسول الله(صلى الله عليه وآله)وهو قوله:

أوصيك يا عبد مُناف بعدي *** بواحد بعد أبيه فرد

أقول: وممّا ينفي القول بأنّ اسمه كنيته، قول عبدالمطّلب أيضاً على ما يلي:

أوصيت من كنيته بطالب *** عبد مُناف وهو ذو تجارب

مواهب الواهب: ٧١، ٧٢ وعمدة الطلب: ١٣٨/١، ٢٠٤ ط النجف / ١٩٦١ وبحار الأنوار: ١٥٢/١٥.

[٢٨] مجمع الأمثال : ٩٧/١ وابن القيم في زاد المعاد : ٤٦/٢.

[٢٩] أسنى المطالب للعلامة ابن دحلان: ٦.

[٣٠] مسند أحمد بن حنبل : ٢٠٩/١ مسند عبدالله بن عباس، ومستدرك الصحيحين: ١٨٣/٣ ونظم درر السمطين: ٨٤، الإصابة: ٢٤٨/٤ وكنز العمال: ٣٩١/٦، اسد الغابة : ٤١٤/٣ وتاريخ الطبري : ٥٦/٢.

[٣١] بحار الأنوار : ١٥٧/١٥ عن كنز الكراجكي المتوفى سنة ٤٤٩ هـ في كتابه كنز الفوائد : ١ / ١٩٢، أخبار عبدالمطلب .

[٣٢] سيرة ابن هشام: ١٧٩/١ وتاريخ اليعقوبي : ٣٣٥/١ باب مولد رسول الله(صلى الله عليه وآله) ، السيرة النبوية لابن كثير: ٢٤٠/١ .

[٣٣] راجع السيرة النبوية لابن كثير: ٢٤٢/١.

[٣٤] السيرة النبوية لابن كثير: ٢٤٩/١ فصل في خروجه مع عمّه الى الشام.

[٣٥] أعلام النساء / عمر رضا كحالة : ٣٣.

[٣٦] المستدرك على الصحيحين: ١٠٨/٣ كتاب معرفة الصحابة، ذكر فضيلة أُمّ علي بن أبي طالب(رضي الله عنها).

[٣٧] تذكرة الخواص : ١٣ ومقاتل الطالبيين لأبي الفرج: ٢٧.

[٣٨] البهاليل: جمع بهلول : السيد الجامع لكل خير.

[٣٩] مناقب ابن شهر آشوب: ١٥١/٢، فصل في آثار حمله وكيفية ولادته، فاطمة بنت أسد: ٥٨.

[٤٠] بحار الأنوار : ٩٨/٣٥ مناقب آل أبي طالب ، ابن شهرآشوب: ١٧٢/٢.

[٤١] تاريخ اليعقوبي : ٣٣٥/١ باب مولد رسول الله(صلى الله عليه وآله).

[٤٢] الأغاني : ٤٨/٨ ـ ٥١.

[٤٣] يراجع شرح نهج البلاغة : ٢١٩/١٥ من كتاب له(عليه السلام) الى معاوية / ٢٨، فضل بني هاشم على بني عبد شمس، وسيرة ابن هشام: ١٥١/١، ذكر بئار قبائل قريش.

[٤٤] بحار الأنوار: ١٣٣/٣٥ .

# الفصل الثالث

## مستوى علاقة أبي طالب مع النبيّ(صلى الله عليه وآله)

استمر أبو طالب في رعايته المخلصة للنبي(صلى الله عليه وآله)، وكان يترقّبه ويتطلّع فيه المستقبل العظيم، وكان يشد أزره ولم يخذله أو يتخلّى عنه طرفة عين وكان يصطحبه في المهمات.

لم يمض أكثر من اثني عشر ربيعاً من عمر النبي(صلى الله عليه وآله) ، فأراد أبو طالب السفر الى الشام مع قافلة قريش التجارية، وحين كان يستعد للسفر وعند المغادرة أخذ النبي(صلى الله عليه وآله) فجأة بزمام الناقة التي كان يركبها عمّه وكافله أبو طالب، وبينما كانت عينا النبي(صلى الله عليه وآله) قد اغرورقت بالدموع قال:

يا عم الى من تكلني، لا أب لي ولا أُم .

ولمّا رأى أبو طالب عيني محمد(صلى الله عليه وآله) قد اغرورقتا بالدموع; تأثّر لهذا المشهد وقرّر من فوره ومن دون سابق تفكير في الموضوع أن يصطحب ابن أخيه محمداً(صلى الله عليه وآله) معه في هذه الرحلة. وقد شهد من النبي أثناء الطريق كرامات وخوارق حتى أنشأ في ذلك قصيدة:

إن ابن آمنة النبي محمدا *** عندي يفوق منازل الأولاد[١]

فكّر أبو طالب في وضع محمد(صلى الله عليه وآله) المعيشي وضرورة أن يكون له عمل; فاقترح عليه العمل والتجارة بأموال خديجة بنت خويلد التي كانت امرأة تاجرة، ذات شرف عظيم ومال كثير تستأجر الرجال في مالها، أو تضاربهم إياه بشيء منه تجعله لهم.

قال أبو طالب للنبي(صلى الله عليه وآله): يا ابن أخي! هذه خديجة بنت خويلد قد انتفع بمالها أكثر الناس، وهي تبحث عن رجل أمين فلو جئتها فعرضت نفسك عليها; لأسرعت إليك وفضّلتك على غيرك لما يبلغها عنك من طهارتك.

ولكن إباء النبي(صلى الله عليه وآله) وعلوّ طبعه منعاه من الإقدام بنفسه على هذا الأمر من دون سابق عهد، ولهذا قال رسول الله(صلى الله عليه وآله) لعمّه : فلعلّها ترسل إليَّ في ذلك.

فبلغ خديجة بنت خويلد مادار بين النبي(صلى الله عليه وآله) وعمّه أبي طالب، فبعثت إليه فوراً تقول له: إني دعاني الى البعث إليك ما بلغني من صدق حديثك وعظم أمانتك وكرم أخلاقك، وأنا أعطيك ضعف ما أعطي رجلاً من قومك، وأبعث معك غلامين يأتمران بأمرك في السفر.

فأخبر رسول الله(صلى الله عليه وآله) عمّه بذلك، فقال له أبو طالب: إن هذا رزق ساقه الله [٢].

لقد أُعجبت خديجة بعظمة فتى قريش وسموّ أخلاقه ومقدرته التجارية، حتى أنها أرادت أن تعطيه مبلغاً زيادة على ما تعاقدا عليه تقديراً له وإعجاباً به، ولكنه اكتفى بأخذ ما تقرّر في البداية، ثم توجّه الى بيت عمّه أبي طالب، وقدّم كل ما أخذه من خديجة الى عمه أبي طالب ليوسّع به على أهله.

ففرح أبو طالب بما عاين من ابن أخيه وبقية أبيه عبدالمطلب وأخيه عبدالله، واغرورقت عيناه بالدموع، وسرّ بما حقق من نجاح وما حصل عليه من ربح من تلك التجارة سروراً كبيراً، واستعدّ أن يعطيه بعيرين يسافر عليهما ويتاجر، وراحلتين يُصلح بهما شأنه، ليتسنى له بأن يحصل على ثروة ومال يعطيه لعمّه ليختار له زوجة.

في مثل تلك الظروف عزم النبي(صلى الله عليه وآله) على الزواج وفاتح عمّه بذلك، ووقع الاختيار على خديجة، وخطب أبو طالب خطبة بهذه المناسبة قال فيها [٣]:

الحمد لله الذي جعلنا من ذرية إبراهيم وزرع إسماعيل، وجعل لنا بلداً حراماً وبيتاً محجوجاً، وجعلنا الحكّام على الناس ، ثم إن محمد بن عبدالله أخي، من لا يوازن به فتىً من قريش إلاّ رجح عليه برّاً وفضلاً، وحزماً وعقلاً، ورأياً ونبلاً، وإن كان في المال قُلٌّ فإنّما المال ظلٌّ زائل وعارية مسترجعة، وله في خديجة بنت خويلد رغبة، ولها فيه مثل ذلك، وما أحببتم من الصداق فعليَّ وله ـ والله ـ بعد نبأ شائع وخطب جليل [٤].

وتتضمن هذه الخطبة عدة أُمور تكشف عن مستوى أبي طالب الفكري والنفسي منها:

١ ـ إنّه أشار بأنه والنبي من ذرية إبراهيم الخط الموحّد المعروف.

٢ ـ الاعتراف بقدسية الكعبة ورمزيتها لتوحيد الله.

٣ ـ أوضح بأن الرئاسة لقريش جاءت بتقدير من الله سبحانه لا على أساس الوثنية أو المال أو غيرهما.

٤ ـ يعتقد أبو طالب بأن النبي(صلى الله عليه وآله) هو ذلك الإنسان الذي لا يساويه أحد من شباب قريش، ولم يكن ذلك على أساس القرابة أو العصبية; وإنّما عن وعي وبصيرة بشخص محمد(صلى الله عليه وآله).

٥ ـ وضّح أبو طالب المقاييس الأخلاقية والقيمية التي تفوّق بها محمد(صلى الله عليه وآله) على غيره، وهذا كاشف عن قدرة إدراك أبي طالب الأصيل وإيمانه بهذه القيم التي اعتمدتها الرسالة الإسلامية فيما بعد.

٦ ـ تعهّد أبو طالب رغم قلّة ماله بأن يدفع كل ما يحتاجه محمد من المال لغرض الزواج، وعليه هو المبادر لزواج الرسول لا غيره.

لم يكن تبنّي أبي طالب والتزامه للنبي(صلى الله عليه وآله) ناتجاً من علاقة عمومة، وبعد ذلك دفعته العصبية لأن يحميه، وإلاّ لماذا لا تدفع هذه العصبية والقبلية عمّه أبا لهب؟ وإنّما الذي استقر في ذهن أبي طالب وقلبه عظمة النبي(صلى الله عليه وآله) ومستقبله الإلهي، وأبو طالب قد سمع من أبيه عبدالمطلب بأن في ذريته النبوّة.

وتأكيدات الرهبان مثل بحيرى الراهب وقوله لأبي طالب: ارجع بابن أخيك الى بلده واحذر عليه اليهود، فوالله لو رأوه وعرفوا منه ما عرفت ليبغينّه شراً، فإنه كائن لابن أخيك هذا شأن عظيم فاسرع به الى بلاده [٥].

إذاً ، ترجع هذه العناية للخلفية الدينية التي كان يتمتع بها أبو طالب، لأنه كان على دين أبيه عبدالمطلب، حتّى أ نّه لما سئل الإمام علي بن أبي طالب(عليه السلام) : مَنْ كان آخر الأوصياء؟ فقال: أبي [٦].

ولذا يشير علي بن يحيى البطريق في بيان سرّ علاقة أبي طالب بالنبي بقوله: لولا خاصة النبوة وسرّها ، لما كان مثل أبي طالب ـ وهو شيخ قريش ورئيسها وذو شرفها ـ يمدح ابن أخيه وهو شاب [٧].

ولما بُعث الرسول(صلى الله عليه وآله) : وأنذر عشيرته الأقربين وهو في بيت أبي طالب; أسلمت تلك العائلة تدريجياً على يديه.

وتفرّد أبو طالب من يومه في موقفه وطريقة إسلامه ودعمه للرسالة لتأثيره على قريش من جهة، وعلى بني عبدالمطلب وبني هاشم من جهة أُخرى. لذا كان يحتاج الى منهج توعوي يتم

بواسطته استيعاب تلك القوى، ومن هنا نجد أن أبا طالب قد مارس عدة أساليب تكشف بدورها عن الدور العظيم الذي قام به لصالح الإسلام.

**الأُسلوب الأوّل:**

إنّ معرفة أبي طالب لقريش ليست كمعرفة غيره بها، فهو على وعي تام بما يدور في خلد قريش، وماهي نقاط الضعف والقوة عندهم، كما أنه كان على دراية تامة بكيفية طبخ القرارات السياسية عند القرشيين، لأنه القريب من موقع القرار والرؤوس المدبّرة له.

وصرّح أبو طالب لقريش بأنه على دين عبدالمطلب، وأن نفسه لا تطاوعه على فراق دين عبدالمطلب، وهذه التصاريح لا تتعارض مع إيمانه الجديد. وتُوهم الخصوم بأنّه ما زال على دينه القديم من جهة، ولأن أبا طالب كان بصدد استغلال موقعه لصالح الرسالة من جهة أُخرى، وليس من الصحيح التفريط به وهو مازال يعد فيه لوناً من الخدمة لأهداف الرسالة.

وبلاشك أن قريشاً تعلم ـ وكما هو واضح ـ بأن الخطر يكمن في بيت أبي طالب بسبب وجود الرسول وأولاد عمّه [٨].

فعليه ، يكون أبو طالب بالمنظور القبلي هو المسؤول عن بوادر هذا الخطر.

يقول عقيل بن أبي طالب: من هنا جاءت قريش لأبي فقالوا: إن ابن أخيك يؤذينا في نادينا وفي كعبتنا وفي ديارنا ويُسمعنا ما نكره، فإن رأيت أن تكفّه عنّا فافعل. فقال لي : يا عقيل! التمس ابن عمّك، فأخرجه من كيس من أكياس أبي طالب، فجاء يمشي معي يطلب الفيء، يطأ فيه لا يقدر عليه حتى انتهى الى أبي طالب فقال: يا ابن أخي! والله لقد كنت لي مطيعاً جاء قومك يزعمون أنّك تأتيهم في كعبتهم وفي ناديهم فتؤذيهم وتسمعهم ما يكرهون، فإن رأيت أن تكفّ عنهم، فحلّق الرسول(صلى الله عليه وآله) بصره الى السماء ، وقال: والله ما أنا بقادر أن أردَّ ما بعثني به ربّي، ولو أن يشعل أحدهم من هذه الشمس ناراً فقال أبو طالب: والله ما كذب قط فارجعوا راشدين [٩].

وحين قال رسول الله(صلى الله عليه وآله) للقوم : من يؤازرني على ما أنا عليه ويجيبني على أن يكون أخي وله الجنة؟ قال علي(عليه السلام) فقلت: أنا يا رسول الله، وإني لأحدثهم سنّاً وأخمشهم ساقاً وسكت القوم، ثم قالوا: يا أبا طالب! ألا ترى ابنك، قال: دعوه فلن يألو من ابن عمه خيراً [١٠].

وفي رواية : لما أراد النبي أن يتكلّم اعترضه أبو لهب، فقال له أبو طالب: اسكت يا أعور، ما أنت وهذا؟! ثم قال لا يقومنّ أحدٌ. قال: فجلسوا ثم قال للنبي(صلى الله عليه وآله): قُم يا سيدي فتكلّم بما تحب وبلّغ رسالة ربّك فإنّك الصادق المصدّق [١١].

**الأُسلوب الثاني:**

في الوقت الذي كان يواصل أبو طالب حواراته مع قريش، مستفيداً من موقعه ومكانته في قلوبهم، نجده من جهة أُخرى يحثّ أبناءه : طالباً وعقيلاً وجعفراً وعليّاً على ضرورة مرافقة محمد(صلى الله عليه وآله)، وشدّ أزره والإيمان بما جاء به. حتّى قال يوماً لعلي ـ وهو الأوّل من اخوته إسلاماً ـ : ماهذا الدين الذي أنت عليه؟

فقال : يا أبت! آمنت بالله وبرسول الله وصدقته بما جاء به وصليتمعه لله واتبعته.

فقال أبو طالب لولده علي(عليه السلام): الزم ابن عمّك [١٢].

وفي رواية: يا بني! الزم ابن عمّك فإنّك تسلم به من كل بأس عاجل وآجل. ثم قال لي:

إن الوثيقة لزوم محمد *** فاشدد بصحبته على أيديكا

وفي كلام آخر لأبي طالب يحرّض ولديه بلزوم الرسول(صلى الله عليه وآله):

إن عليّاً وجعفراً ثقتي *** عند ملم الزمان والنوب

لا تخذلا وانصرا ابن عمّكما *** أخي لأُمي من بينهم وأبي [١٣]

وهذا لا يعني أن الرسول(صلى الله عليه وآله) قد أخفى أمر الرسالة عن عمّه أبي طالب وكافله وناصره، وقد فوجئ مثلاً بإيمان علي، نعم ربّما فوجئ بهيئة الصلاة وطريقتها، فالدعم والتوصية من قبل أبي طالب بالنبي(صلى الله عليه وآله) ما هو إلاّ تأكيد لعزم علي(عليه السلام)، وضرورة شدّ أزر النبي(صلى الله عليه وآله)والمضي في رسالته .

ويشهد على ذلك أن أبا طالب عندما شاهد النبي(صلى الله عليه وآله) وعليّاً يصليان وعليٌّ على يمينه قال لجعفر(رضي الله عنه): صِل جناح ابن عمّك، وصلّ عن يساره ، وكان إسلام جعفر بعد إسلام أخيه علي، بقليل [١٤].

**الأُسلوب الثالث:**

وجد أبو طالب أن من الضروري أن يواجه قريشاً وأن لا يستجيب لمطالبها، وإذاً فالتحدي أمر مفيد ومؤثر في سياستها، لأن أبا طالب كان يتلمّس مواطن الضعف والقوة في الصف القرشي، ثمّ يجد أن العزم والتوكل على الله كفيل بالنصر.

لذا نجده يوصي أخاه حمزة بأن يستعين بالله، وأن لا يخاف من قريش وحكاياتها وإشاعاتها حول الرسول(صلى الله عليه وآله) .

وبهذا أراد أبو طالب أن يوقي أخاه من تلك الشُبهة والدعايات المغرضة، مخافة أن تخفّف من عزمه، ثم أراد أن يعبّر له بأنه مسرور وفرح بإسلامه وتأييده للرسول الذي ينبغي أن يكون بمستوى التضحية مهما كلف الثمن.

وأبو طالب لم يكن ذلك الإنسان المتحجّر في فكره; وإنّما هو ذو ذهن متجدد يتطلع للحق ويدرك وثنية الفكر الجاهلي، من هنا قال لحمزة:

فصبراً أبا يعلى على دين أحمد *** وكن مظهراً للدين وفّقت صابرا

وحطّ من أتى بالحقّ من عند ربّه *** بصدق وعزم لا تكن حَمْزُ كافرا

فقد سرّني إذ قلت إنّك مؤمن *** فكن لرسول الله في الله ناصرا جهاراً

وبار قريشاً بالذي قد أتيته *** جهاراً وقل: ما كان أحمد ساحرا [١٥]

ولوحظ بهذا الاتجاه جواب أبي طالب لولده علي(عليه السلام) عندما بلّغ النبي(صلى الله عليه وآله) عليّاً بالرسالة وقول عليّ للنبي(صلى الله عليه وآله) : يا رسول الله، حتى أمضي واستأذن والدي فقال له: اذهب سيأذن لك، فانطلق إليه يستأذنه في اتباعه ـ وهذه إشارة لإيمان أبي طالب وعلم النبي(صلى الله عليه وآله) بمعدنه، وإلاّ لا يجوز أن يؤخذ إذنُ الكافر في أن يكون الإنسان مسلماً ـ فكان جواب أبي طالب لعلي: يا ولدي! تعلم أنّ محمداً أمين الله منذ كان، إمض إليه واتّبعه ترشد وتفلح [١٦].

**الأُسلوب الرابع:**

لما خرج عمرو بن العاص الى بلاد الحبشة ليكيد بجعفر بن أبي طالب وأصحابه عند النجاشي، قال:

تقول ابنتي أين أين الرحيل؟ *** وما البين مني بمستنكرِ

فقلت دعيني فإني امروٌ *** أُريد النجاشي في جعفر

لأكويه [١٧] عنده كيّة *** أُقيم بها نخوة الأصعر [١٨]، [١٩]

كما حثّ أبو طالب النجاشي على ضرورة إكرام المهاجرين بالهجرة الثانية[٢٠]، لأن أبا طالب كانت له علاقة طيّبة مع النجاشي وذلك بقوله:

ألا ليت شعري كيف في النّأي جعفر *** وعمرو وأعداء النبيّ الأقاربُ؟

فهل نال أفعال النجاشي جعفراً *** وأصحابه أو عاق ذلك شاغبُ؟

تعلّم أبيت اللعن إنّك ماجد *** كريم فلا يشقى لديك المجانب

تعلّم بأن الله زادك بسطة *** وأفعال خير كلّها بك لازب

وإنّك فيض ذو سجال غزيرة *** ينال الأعادي نفعها والأقارب [٢١]

ودعاه أُخرى الى الإسلام كما جاء ذلك في قوله:

ليعلم خيار النّاس أن محمداً أتانا *** نبي كموسى أو المسيح بن مريم

بهدى مثل الذي أتيا به *** فكلٌّ بأمر الله يهدي لمعصم [٢٢]

**الأُسلوب الخامس:**

تجاهل أبو طالب موقف قريش وحدّته من الرسالة عن طريق مخاطبته لسادتهم وكبرائهم، فقد دعا أبا لهب في أن ينضم الى الرسالة مخاطباً إيّاه:

وإن امرأً أبو عُتيبة عمّهُ *** لفي روضة ما إن يُسامُ المظالما

أقول له، وأين منه نصيحتي: *** أبا معتب ثبت سوادك قائما

فلا تقبلنّ الدهر ما عشت خطة *** تسبُ بها إما هبطت المواسِما

وَولِّ سبيل العجز غيرك مِنهم *** فإنّك لم تخلق على العجز لازما

وحاربوأن الحرب نصفُولن ترى *** أخا الحرب يُعطي الخسف حتى يسالما

وكيف ولم يجنوا عليك عظيمة *** ولم يخذلوك غانماً أو مغارما؟

جزى الله عنّا عبد شمس ونوفلاً *** وتيماً ومخزوماً عقوقاً ومأثما

بتفريقهم من بعد وُدّ وألفة *** جماعتنا كيما ينالوا المحارما

كذبتم وبيت الله نبزى محمداً *** ولما تروا يوماً لدى الشِعب قائماً [٢٣]

وطبيعي أن أبا لهب يعتبر من كبار قريش وله دور مهم في قرار المشركين، فإذا جوبه بهذا الإعلام فعلى الأقل تنكسر شوكته ويخفّ كيده وحقده مع احتمال أن يتحيّد أو يسلم.

وبهذا السياق تمثل خطابات أبي طالب لأبي لهب وغيره تحدّياً وحرباً نفسية تثبّط العزم وتربك صفوف الأعداء، وتفتح آفاقاً جديدة للمسلمين في أن يواصلوا تبليغهم للرسالة.

ثم إن خطابات أبي طالب تثري المسلمين بالمعلومات، لأنها تكشف عن الموقف الحقيقي للأعداء، فلولا هذه الاستفزازات التي تصدّى لها أبو طالب، لما أمكن إدراك طبيعة التفكير الجاهلي وعمق الموقف من الرسالة.

فممّا قاله أبو طالب في هذا الصدد:

أفيقوا أفيقوا قبل أن يُحفر الثرى *** ويصبح من لم يَجنِ ذنباً كذي الذنب [٢٤]

وأعرب أبو طالب عن كامل استعداده في أن يضم القبائل الأُخرى ويعلنها حرباً لا هوادة فيها حتى قال:

ولسنا نَمِلُّ الحرب حتى تملّنا *** ولا نشتكي ما قد ينوب من النُكب

وكان العباس بن عبدالمطلب أخو أبي طالب يعترف بقدرة وسطوة أبي طالب، في كونه الأدقّ رؤية والأكثر معرفة في أوضاع قريش واستعداداتها، وهو الأجدر في تبنّي الصعاب والمخاطر التي ترتكبها قريش أمام الرسالة، ولذا نجد الرسول(صلى الله عليه وآله) عندما يفاتح عمّه العباس بقوله: إن الله قد أمرني بإظهار أمري وقد أنبأني واستنبأني فما عندك؟ يقول له العباس: يابن أخي! إنّك تعلم بأنّ قريشاً أشد الناس حسداً لولد أبيك، وإن كانت هذه الخصلة، كانت الطامّة الطمّاء والداهية العظيمة، ورمينا عن قوس واحد وانتسفونا نسفاً، صلنا ولكن قرّب إلى عمّك أبي طالب فإنّه كان أكبر أعمامك إن لم ينصرك لا يخذلك ولا يسلمك ، فأتياه، فلمّا رآهما أبو طالب قال: إن لكما لظنّة وخيراً. ما جاء بكما في هذا الوقت؟ فعرّفه العباس ما قال له النبي(صلى الله عليه وآله)وما أجابه به العباس، فنظر إليه أبو طالب وقال له: أُخرج يا ابن أخي فإنّك الرفيع كعباً والمنيع حزباً والأعلى أباً، والله لا يسلقك لسان إلاّ سلقته ألسنٌ حداد واجتذبته سيوف حداد، والله لتذلنّ لك العرب ذلّ البهم لحاضنها، لقد كان أبي يقرأ الكتاب جميعاً، ولقد قال: إن من صلبي لنبيّاً لوددت أ نّي أدركت ذلك الزمان، فآمنت به فمن أدركه من ولدي فليؤمن به [٢٥].

ثم ذكر صفة اظهار نبيّهم(صلى الله عليه وآله) للرسالة عقيب كلام أبي طالب له وصورته وشهادته.

# الفصل الرابع

## تنوع أساليب أبي طالب ودعمه النبي(صلى الله عليه وآله)

وهكذا واصل رسول الله(صلى الله عليه وآله) دعوته، وأبو طالب يرافقه طيلة الاثني والأربعين عاماً التي قضاها معه، وأخذ(صلى الله عليه وآله) يبلّغ قومه كما أمره الله تعالى، ولم تشدّد قريش من مواجهتها للنبي حتّى بدأ رسول الله يهاجم آلهتهم، ولعلمها بأن وراء محمد(صلى الله عليه وآله) قوة لا يمكن تجاوزها قد تمثلت في أبي طالب، وأدركت من جهة أن السكوت سوف لا يُبقي عليها ولا يذر، فصعّدت قريش من خططها، وكانت وسيلتهم في ذلك تتركز بعزل محمد عن بني هاشم، لأن محمداً رجل يسهل قتله والقضاء على دعوته ، ولكن العقبة الكؤود هم بنو هاشم، الذين أعلنوا بلسان أبي طالب أنهم حُماة النبي ، وأن أي اعتداء عليه هو بمثابة إعلان حرب، لن تضع أوزارها حتى يفنى الهاشميون والبطون معاً [٢٦]، لذا اجتمعت قريش عدة اجتماعات وتحاوروا فيما بينهم وقرّروا عدّة قرارات، لعلّها تثني الرسول وعمّه، أو تساهم في عزل محمد عن بني هاشم وعبدالمطلب، وبالتالي يتخلّصون من هذا الخطر العاصف بملكهم، فمن القرارات:

١ ـ أن يتحركوا نحو أبي طالب لغرض تحييده عن الرسول ويستبطن هذا السعي التهديد لأبي طالب إن لم يتخلَّ عن محمد، فجاؤوا بعمارة بن الوليد بن المغيرة الشاب الجميل إذ كانوا يعتبرونه أنهد فتىً في قريش، وقالوا لأبي طالب: هذا عمارة فخذه فلك عقله ونصره واتخذه ولداً [٢٧] فهو لك وسلّم إلينا ابن أخيك هذا الذي خالفك دينك ودين آبائك، وفرّق جماعة قومك وسفّه أحلامهم، فنقتله فإنّما هو رجل برجل.

وهذه المحاولة تكشف لنا عن عدّة أُمور منها :

أ ـ عدم قدرة قريش على مواجهة أبي طالب بقوّة السلاح، ولو كان بمقدور قريش قتل النبي بلا ردّ فعل من أبي طالب لقتلته، إلاّ أنها كانت تحسب لذلك وتخشاه.

ب ـ إنّ المستقر في ذهن قريش أن النبي يُعدّ ابناً لأبي طالب، لذا فكّروا في تعويضه بعمارة لا تعويض غيره.

ج ـ تهدف هذه المحاولة الى تحييد أبي طالب وإصرار قريش على مواجهة الرسول(صلى الله عليه وآله)وقتله، وبالتالي الإيعاز لأبي طالب بأنها سوف لا تقف مكتوفة الأيدي أمام تحدي أبي طالب نفسه.

د ـ عدم افصاح قريش بكفر أو إسلام أبي طالب، وكأن المسألة الخلافية هو تحدي المواقع التي تتبناها قريش، وهذا لا يمكن السكوت عليه.

٢ ـ هتك حرمة الرسول وإهانته : فحينما خرج النبي يوماً الى الكعبة وأراد أن يصلي، فلمّا دخل في الصلاة قال أبو جهل ـ لعنه الله ـ من يقوم الى هذا الرجل فيفسد عليه صلاته؟ فقام ابن الزبعري فأخذ فرثاً ودماً فلطّخ به وجه النبي(صلى الله عليه وآله) فانفتل النبي(صلى الله عليه وآله) من صلاته.

٣ ـ مقررات الصحيفة هي البنود التي تعاهدت فيها قريش ضدّ الرسول(صلى الله عليه وآله)، أو ما تسمى بمقررات المقاطعة وهي:

أ ـ أن لا ينكحوا أحداً من بني هاشم وبني عبدالمطلب.

ب ـ أن لا يقبلوا منهم صلحاً أبداً.

ج ـ أن لا يبايعوا منهم شيئاً ولا يبتاعوا.

د ـ أن لا تأخذهم بهم رأفةٌ حتى يسلّموا رسول الله.

وقد خطّت هذه الوثيقة بخطّ منصور بن عكرمة، وعلّقت منها صحيفة في الكعبة هلال المحرم سنة سبع من البعثة، وكان الاجتماع في بني كنانة.

## موقف أبي طالب أمام هذه القرارات والأساليب

**الموقف الأول:**

ردّ أبو طالب على العرض الذي تقدّمت به قريش في قصة عمارة بن الوليد بقوله: والله لبئس ما تسومونني، أتعطوني ابنكم أغذوه لكم وأعطيكم ابني تقتلونه؟! هذا والله ما لا يكون أبداً، فقال المطعم بن عدي بن نوفل: والله يا أبا طالب! لقد أنصفك قومك وجهدوا على التخلص ممّا تكرهه، فما أراك تريد أن تقبل منهم شيئاً؟ فقال أبو طالب للمطعم: والله ما أنصفوني، ولكنك قد أجمعت خذلاني ومظاهرة القوم عليَّ فاصنع ما بدالك.

وقال أبو طالب شعراً في هذه المرحلة العصيبة، وأشارالى الانقسام في البيت القرشي، بخصوص الرسالة وبيّن موقفه منها:

ألا قل لعمر والوليد ومطعم *** ألا ليت حظي من حياطتكم بكرُ

من الخور حباب كثير رُغاوه *** يُرشُ على الساقين من بوله قطرُ

أرى أخوينا من أبينا وأُمنا *** إذا سُئلا قالا: الى غيرنا الأمر

بلى لهما أمرٌ ولكن تجرجما *** كما جرجمت من رأس ذي علق صخر [٢٨]

أخصّ خصوصاً عبدشمس ونوفلاً *** هما نبذانا مثل ما ينبذ الجمرُ

هما أغمزا للقوم في أخويهما *** فقد أصبحا منهم أكفّهما صفرُ

هما أشركا في المجد من لا أبا له *** من الناس إلاّ أن يُرس له ذُكر [٢٩]

وتيم ومخزوم وزهرة منهم *** وكانوا لنا مولى إذا بني النصر

فوالله لا تنفك منا عداوة *** ولا منهم ما كان من فلسنا شغر [٣٠]

فقد سفّهت أحلامهم وعقولهم *** وكانوا كجفر بئس ما صنعت جفر

وما ذاك إلاّ سؤدد خصّنا به *** إله العباد واصطفانا له الفخر

رجال تمالوا حاسدين وبغضة *** لأهل العُلى فبينهم أبداً وترُ

وليد [٣١] أبوه كان عبداً لجدّنا *** الى علجة الزرقا جال بها السحرُ

**الموقف الثاني:**

عالج أبو طالب التعدي الذي صدر من عبدالله بن الزبعري المدفوع من قبل أبي جهل بردّ فعل قوي، فبمجرد أن قال الرسول(صلى الله عليه وآله) لعمّه: يا عمّ ! ألا ترى ما فُعل بي؟ فقال أبو طالب:

مَن فعل هذا بك؟

فقال النبي(صلى الله عليه وآله): عبدالله بن الزبعري.

فقام أبو طالب ووضع سيفه على عاتقه ومشى معه حتى أتى القوم ـ وأبو طالب يعلم من الذي حرّك هذا النكرة ـ فلمّا رأوا أبا طالب قد أقبل جعل القوم ينهضون; فقال أبو طالب: والله لننقام رجل لجلّلته بسيفي فقعدوا حتى دنا إليهم، فقال يا بُنيّ من فعل بك هذا؟

فقال: عبدالله بن الزبعري، فأخذ أبو طالب فرثاً ودماً فلطّخ به وجوههم ولحاهم وثيابهم وأساء لهم القول [٣٢].

**الموقف الثالث:**

خرج الرسول(صلى الله عليه وآله) ذات يوم من بيت أبي طالب(عليه السلام) ولم يعد، وجاء أبو طالب وعمومته الى منزله فلم يجدوه، فجمع أبو طالب جمعاً من فتيان بني هاشم وبني عبدالمطلب، وهو يظن أن قريشاً كادت برسول الله(صلى الله عليه وآله)، فقال لهم: ليأخذ كل واحد منكم حديدة صارمة، ثم ليتبعني فإذا دخلت المسجد فلينظر كل فتى منكم، فليجلس الى عظيم من عظمائهم فيهم ابن الحنظلية ـ يعني أبا جهل ـ فإنه لم يغب عن شرّ إن كان محمد قد قتل، فقال الفتيان: نفعل، فجاء زيد بن حارثة فوجد أبا طالب على تلك الحال فقال : يا زيد أحسست ابن أخي؟

قال: نعم كنت معه آنفاً.

فقال أبو طالب . لا أدخل بيتي أبداً حتى أراه.

فخرج زيد سريعاً حتى أتى رسول الله(صلى الله عليه وآله)، وهو في بيت عند الصفا ومعه أصحابه يتحدثون فأخبره الخبر، فجاء رسول الله(صلى الله عليه وآله)الى أبي طالب فقال يابن أخي: اين كنت؟ أكنت في خير؟

قال: نعم.

قال أُدخل بيتك، فدخل رسول الله(صلى الله عليه وآله) فلما أصبح أبو طالب ومعه الفتيان الهاشميون والمطلبيون قال: يا معشر قريش! هل تدرون ما هممت به؟

قالوا: لا.

فأخبرهم الخبر، وقال للفتيان اكشفوا عمّا في أيديكم، فإذا كل رجل منهم معه حديدة صارمة؟

فقال: والله لو قتلتموه ما أبقيت منكم أحداً حتى نتفانى نحن وأنتم ، فانكسر القوم، وكان أشدّهم انكساراً أبو جهل [٣٣].

**الموقف الرابع:**

ولما أدرك أبو طالب اصرار قريش، قال للرسول(صلى الله عليه وآله) : يا ابن أخي! إن قومك قد جاءوني فقالوا لي كذا وكذا. فابق عليّ وعلى نفسك ولا تحمّلني من الأمر ما لا أُطيق. فأجاب

الرسول موضّحاً بأنه سيواصل مواجهته لقريش، حتى إظهار الدين، وجاء ذلك بقوله(صلى الله عليه وآله): يا عم! لو وضعوا الشمس في يميني، والقمر في يساري، على أن أترك هذا الأمر ما تركته، حتى يظهره الله أو أهلك فيه.

ثم استعبر رسول الله(صلى الله عليه وآله) فبكى، ثم قام فلما ولّى ناداه أبو طالب، فقال: أقبل يابن أخي! فأقبل عليه رسول الله(صلى الله عليه وآله)، فقال : اذهب يابن أخي! فقل ما أحببت فوالله لا أُسلّمك لشيء أبداً [٣٤].

**الموقف الخامس:**

لما علم أبو طالب بتصميم قريش على تنفيذ قرارات المقاطعة، تحرّك نحو بني هاشم وبني عبدالمطلب، فحاول إقناعهم بأحقية دعوة الرسول وضرورة التباني ووحدة الموقف، فيما بينهم. وفعلاً نجح أبو طالب في هذه المحاولة، فانضموا إليه باستثناء أبي لهب، ودخلوا معه الحصار لمدة سنتين ونصف، وقيل ثلاث سنوات، وقد تعرضوا من جرّاء المحاصرة الى شتى ألوان المعاناة.

**الموقف السادس:**

صمّم أبو طالب مع ابن أخيه محمد(صلى الله عليه وآله) على مواجهة قرارات المقاطعة، وتلقاها بقوة وصبر عظيمين، ولم يستجب لضغوطات قريش، وكان لأبي طالب دور رسالي بارز أثناء حضور المسلمين في الشِعب.

١ ـ كان أبو طالب يراقب فراش الرسول في كل ليلة لئلا يتعرض النبي(صلى الله عليه وآله) لسوء من قبل قريش.

٢ ـ عند نيام المسلمين في الليل كان أبو طالب يأمر أبناءه وإخوانه أو بني عمّه أن يضطجعوا على فراش الرسول، ويريد من الرسول(صلى الله عليه وآله) أن يرقد على بعض فرشهم، وابتغى أبوطالب من هذا الأُسلوب أن يحافظ على حياة الرسول من الخطر [٣٥].

وبعد أن مضى زمن طويل على المحاصرة في داخل الشِعب; جاء النبي يوماً الى أبي طالب باعتباره القطب الذي تدور حوله فعاليات الشِعب وقال له: بأن الله قد أخبره بأن الأرضة قدأكلت الصحيفة ـ أي وثيقة قرارات المقاطعة ـ ولم تدع شيئاً منها إلاّ اسم الله.

وكان أبو طالب يدرك هذا المعنى، كما أنه كان يثق بقول رسول الله ويصدّقه مطلقاً، لذا تحرّك أبو طالب نحو قريش من أجل استثمار هذا الحدث الإلهي العظيم، ليكون دالّة وعوناً له في فكّ الحصار لينطلق الرسول بدعوته.

فانطلق أبو طالب لقريش كمحاور يمثّل الرسول لعل قريشاً تقبل بطرحه الجديد وتتراجع عن حصارها.

فأخبر أبو طالب قريشاً بهذا الحدث وقال لهم: إذا صدق محمد(صلى الله عليه وآله) بهذه الدعوى لا نسلّمه حتى نموت عند آخرنا، وإذا كان الخبر باطلاً; سلّمناه إليكم، ومن الثابت أن أباطالب كان يعلم بأن رسول الله صادق في قوله، ونتيجة لحوار أبي طالب قبلت قريش هذا العرض.

وعند التفتيش في محتوى الصحيفة، وجدوا فعلاً أن الأرضة قد أكلت الصحيفة وتركت اسم الله، وانتصر الرسول وأبو طالب بفعل التسديد الإلهي ، وثبت صدق دعوى الرسول ، واتضح للناس عامة أن قريشاً ظالمة في مواجهتها للنبي(صلى الله عليه وآله) .

وبعد فكّ الحصار ذهب أبو طالب إلى الكعبة، ليدعو الله فيها وقد لخّص موقفه، فقال أبو طالب - بعد أن وجدوا الأمر كما أخبر به النبي(صلى الله عليه وآله)- : علام نحضر ونحبس وقد بان الأمر وتبين أنكم أولى بالظلم والقطيعة؟ ودخل هو ومن معه بين أستار الكعبة، وقال: اللهم انصرنا على من ظلمنا واستحلّ ما يحرم عليه منا [٣٦].

واستمرت مناصرة أبي طالب للنبي(صلى الله عليه وآله) منذ بعثه الله تعالى، لا مَلَل فيها ولا وهن ولا تخليّاً بحال من الأحوال، حتى لفظ أنفاسه الأخيرة، وذلك في السنة الثالثة قبل الهجرة [٣٧].

ولم ينس وهو في آخر رمق من حياته أن يمارس نصرته للنبي(صلى الله عليه وآله)، فقد التفت الى المحيطين به قبيل وفاته، فأوصاهم بالنبي قائلاً:

أُوصيكم بمحمد خيراً فإنّه الأمين في قريش، والصادق في العرب، والجامع لكل ما أُوصيكم به... والله لا يملك أحد سبيله إلاّ رشد، ولا يهتدي بهديه إلاّ سعد، ولو كان في العمر بقية لكففت عنه الهزائز ، ورفعت عنه الدواهي. إن محمداً هو الصادق فأجيبوا دعوته، واجتمعوا على نصرته فإنه الشرف الباقي لكم على الدهر [٣٨].

[١] ديوان أبي طالب: ٣٣ و ٣٥ وتاريخ ابن عساكر: ٢٦٩/١ ـ ٢٧٢ ، الروض الآنف : ١٢٠/١.

[٢] السيرة الحلبية : ١٣٣/١ باب سفره(صلى الله عليه وآله) الى الشام ثانياً، والكامل في التاريخ: ٢٤/٢ .

[٣] تاريخ اليعقوبي : ٣٤١/١ باب تزويج خديجة بنت خويلد.

[٤] شرح النهج لابن أبي الحديد: ١٤ / ٧٠، كتاب ٩، كتابه الى معاوية، الحجة على الذاهب الى تكفير أبي طالب: ٢١٤ والوفاء بأحوال المصطفى لابن الجوزي: ٢٣٨/١، تاريخ ابن خلدون : ٧١٢/٢، تاريخ اليعقوبي: ٣٤١/١، باب تزويج خديجة بنت خويلد.

[٥] السيرة النبوية لابن هشام: ١٨٢/١ ، قصة بحيرا.

[٦] الغدير: ٣٨٩/٧ ح ١٤ ما أسنده إليه من لاث به وبخع له، عن ضياء العالمين للفتوني وراجع اليعقوبي : ٢٦/٢ والطبقات لابن سعد: ١٠٦/١.

[٧] عقيدة أبي طالب / سيد طالب الرفاعي: ١٦.

[٨] السيرة الحلبية : ٣٠٤/١، باب عرض قريش عليه(صلى الله عليه وآله) أشياء.

[٩] أخرجه البخاري في تاريخه وفي ذخائر العقبى : ٢١٣ وابن كثير لمّا رأى لكلمة راشدين قيمة في إيمان أبي طالب فحذفها في تاريخه: ٧٢/٢ ، السيرة الحلبية: ٣٠٣/١ باب عرض قريش عليه(صلى الله عليه وآله) أشياء.

[١٠] الطبقات الكبرى ، ابن سعد: ١٨٧/١ ذكر علامات النبوة بعد نزول الوحي على رسول الله(صلى الله عليه وآله)، تاريخ مدينة دمشق، ابن عساكر : ٤٦/٤٢ ترجمة علي بن أبي طالب(عليه السلام) رقم ٤٩٣٣.

[١١] لسان العرب: ٦١٦/٤، النهاية لابن الأثير: ٣١٩/٣.

[١٢] سيرة ابن هشام: ٢٤٧/١، ذكر أن علي بن أبي طالب(عليه السلام) أنّه أوّل مَن أسلم وتاريخ الطبري: ٢١٤/٢ وعيون الأثر : ٩٤/١ والإصابة : ١١٦/٤ ترجمة أبي طالب، رقم ٦٨٥ وأسنى المطالب: ١٠.

[١٣] شرح ابن أبي الحديد: ١٤/ ٧٥ و ٧٦ ، كتاب ٩، كتاب علي الى معاوية.

[١٤] أُسد الغابة: ٣٤١/١، ترجمة جعفر بن أبي طالب، رقم ٧٥٩، شرح ابن أبي الحديد: ٣١٥/٣، الإصابة : ١١٦/٤، ترجمة أبي طالب رقم ٦٨٥، السيرة الحلبية : ٢٨٦/١ ، أسنى المطالب: ٦.

[١٥] شرح ابن أبي الحديد: ١٤، ٧٦، كتاب ٩، من كتابه(عليه السلام) الى معاوية.

[١٦] الغدير: ٣٥٦/٧، نقلاً عن أبي بكر الشيرازي في تفسيره.

[١٧] الأكوية: راجع الى عمرو بن العاص الذي ذهب لحثّ النجاشي على طرد المهاجرين.

[١٨] الأصعر: المتكبر.

[١٩] أعيان الشيعة: ١١٩/٨ حياة أبو طالب.

[٢٠] سيرة ابن هاشم: ٣٣٣/١، باب ارسال قريش الى الحبشة في طلب المهاجرين إليها، قال ابن إسحاق: فلما رأت قُريش أن أصحاب رسول الله(صلى الله عليه وآله) قد أمنوا واطمأنوا بأرض الحبشة، وأنهم قد أصابوا بها داراً وقراراً، ائتمروا بينهم أن يبعثوا فيهم منهم رجُلَين من قريش جَلْدين الى النجاشي، فيردّهم عليهم، ليفتنوهم في دينهم، ويُخرجوهم من دارهم، التي اطمأنوا بها وأمنوا فيها، فبعثوا عبدالله بن أبي ربيعة، وعمرو بن العاص بن وائل، وجمعوا لهما هدايا للنجاشي ولبطارقته، ثم بعثوهما إليه فيهم.

فقال أبو طالب، حين رأى ذلك من رأيهم ـ يعني قريش ـ وما بعثوهما فيه أبياتاً للنجاشي يحضّه على حُسْن جوارهم والدّفع عنهم. وراجع سيد المرسلين للسبحاني: ٤٥٩/١ .

[٢١] سيرة ابن هشام : ٣٣٣/١ ، غاية المطالب: ٢٥ ـ ٢٧.

[٢٢] المستدرك على الصحيحين للحاكم: ٦٢٣/٢ كتاب التاريخ، من كتاب الهجرة الأُولى الى الحبشة.

[٢٣] ديوان أبي طالب: ٧٨.

[٢٤] ديوان أبي طالب: ٢٨.

[٢٥] مواهب الواهب: ١٩٤ ـ ١٩٥، الباب الثامن في محبّة أبي طالب للنبي(صلى الله عليه وآله)، نهاية الطلب وغاية السؤول في مناقب آل الرسول لإبراهيم بن محمد الدينوري.

[٢٦] طبقات ابن سعد: ٢٠٣/١ ، ذكر ممشى قريش الى أبي طالب.

[٢٧] شرح نهج البلاغة لابن أبي الحديد: ١٤ / ٥٥ كتاب ٩ ، من كتاب له(عليه السلام) الى معاوية، اجلاب قريش على بني هاشم وحصرهم في الشعب، طبقات ابن سعد: ٢٠٢/١، ذكر ممشى قريش الى أبي طالب.

[٢٨] تجرجما: سقطا وانحدرا ، يقال تجرجم الشيء إذا سقط : ذو علق: جبل في ديار بني أسد.

[٢٩] يرس له ذكر: يذكر ذكراً خفيفاً رس الحديث: حدّث به بخفاء.

[٣٠] شغر أحد: أي ما بالدار أحد.

[٣١] يريد بالوليد بن المغيرة وكان من المستهزئين بالنبي(صلى الله عليه وآله) وهو من الذين تحركوا نحو أبي طالب في أمر النبي، وقد نزل فيه قوله تعالى: (ذرني ومن خلقت وحيدا) وكان يسمى الوحيد في قومه. الكشاف : ٦٤٧/٤ ، والبيضاوي: ٤١٣/٥.

[٣٢] الغدير: ٣٦٠/٧.

[٣٣] الطبقات الكبرى لابن سعد: ٢٠٢/١ ـ ٢٠٣، ذكر ممشى قريش الى بني هاشم ، الطرائف : ٨٥ .

[٣٤] الغدير: ٣٦٠/٧.

[٣٥] كما روى ابن اسحاق ونقله الأميني في الغدير: ٤٠٤/٧.

[٣٦] الغدير للأميني : ٣٦٣/٧.

[٣٧] زاد المعاد لابن القيّم: ٤٦/٢.

[٣٨] السيرة الحلبية : ٣٥١/١ ـ ٣٥٢، باب ذكر وفاة عمّه أبي طالب وزوجته خديجة.

وبهذا نزل القرآن الكريم من قول الله تعالى : (وإنه لذكر لك ولقومك وسوف تسألون)الزخرف: ٤٤.

# الفصل الخامس

# موقف الرسول(صلى الله عليه وآله) والأئمة(عليهم السلام) والصحابة من أبي طالب

## أولاً موقف الرسول(صلى الله عليه وآله) :

كان رسول الله(صلى الله عليه وآله) يحبّ أبا طالب ويثني عليه طيلة حياته، ولا يمكن فصل حياة أبي طالب عن سيرة رسول الله(صلى الله عليه وآله)، كما هو واضح من خلال الفصول السابقة، والآن نذكر بعض الروايات على سبيل الاختصار، والتي تبيّن رأي رسول الله(صلى الله عليه وآله) في أبي طالب ومستوى العلاقة بينهما، ثم نذكر دفاع أئمة أهل البيت(عليهم السلام)والصحابة عنه.

جاء في شرح نهج البلاغة لابن أبي الحديد المعتزلي: أن أبا طالب لمّا مات; جاء علي(عليه السلام)الى رسول الله(صلى الله عليه وآله)فآذنه في موته فتوجع عظيماً وحزن شديداً، ثم قال له: امض فتول غسله، فإذا رفعته على سريره فأعلمني ، ففعل فاعترضه رسول الله(صلى الله عليه وآله) وهو محمول على رؤوس الرجال، فقال: وصلتك رحم يا عم جزيت خيراً، فلقد ربيت وكفلت صغيراً ونصرت وآزرت كبيراً، ثم تبعهالى حفرته، فوقف عليه، فقال: أما والله لأستغفرن لك ولأشفعنفيك شفاعة يعجب لها الثقلان [١].

وقد أجاد الشيخ المفيد(رحمه الله) عندما علّق على هذا الحديث بقوله: في هذا الحديث دليلان على إيمان أبي طالب(رضي الله عنه):

الأول: أمر رسول الله(صلى الله عليه وآله) عليّاً(عليه السلام) بغسله وتكفينه دون الحاضرين من أولاده، إذ كان من حضره منهم سوى أمير المؤمنين إذ ذاك على الجاهلية، لأن جعفراً(رحمه الله) كان يومئذ ببلاد الحبشة، وكان عقيل وطالب حاضرين وهما يومئذ على خلاف الإسلام، لم يسلما بعد، وأمير المؤمنين(عليه السلام)كان مؤمناً بالله تعالى ورسوله، فخصّ المؤمن منهم بولاية أمره، وجعله أحقّ به منهما لإيمانه وخاصّته إياه في دينه.

ولو كان أبو طالب (رضي الله عنه) قد مات على ما يزعمه النواصب من الكفر، كان كل من عقيل وطالب أحقّ بتولي أمره من علي(عليه السلام)، ولما جاز للمسلم من ولده القيام بأمره لانقطاع العصمة بينهما.

وفي حكم رسول الله(صلى الله عليه وآله) لعلي(عليه السلام) به دونهما وأمره إياه بإجراء أحكام المسلمين عليه من الغسل والتطهير والتحنيط والتكفين والمواراة، شاهد صدق على إيمانه كما بيّناه.

الثاني: دعاء النبي(صلى الله عليه وآله) له بالخيرات، ووعده أُمته فيه بالشفاعة الى الله واتباعه بالثناء والحمد والدعاء، وهذه هي الصلاة التي كانت مكتوبة إذ ذاك على أموات أهل الإسلام، ولو كان أبو طالب قد مات كافراً; لما وسع رسول الله(صلى الله عليه وآله) الثناء عليه بعد الموت، والدعاء له بشيء من الخير، بل كان يجب عليه اجتنابه واتباعه بالذم واللوم على قبح ما أسلفه من الخلاف له في دينه، كما فرض الله عزّ وجل ذلك عليه للكافرين، حيث يقول: (ولا تصلّ على أحد منهم مات أبداً ولا تقم على قبره) [٢]. وقوله تعالى: (وما كان استغفار إبراهيم لأبيه إلاّ عن موعدة وعدها إيّاه فلمّا تبيّن له أنه عدوٌّ لله تبرأ منه) [٣].

وإذا كان الأمر على ما وصفناه; ثبت أن أبا طالب(رضي الله عنه)، مات مؤمناً بدلالة فعله ومقاله(صلى الله عليه وآله) [٤].

جاء في تاريخ الطبري:

لما مات أبو طالب; نالت قريش من النبي(صلى الله عليه وآله)، من الأذى ما لم تكن تطمع فيه في حياة أبي طالب، حتى اعترضه سفيه من سفهاء قريش فنثر على رأسه تراباً ، فدخل رسول الله(صلى الله عليه وآله) بيته والتراب على رأسه، فقامت إليه إحدى بناته تغسل عنه التراب وتبكي ورسول الله(صلى الله عليه وآله) يقول لها: (يا بنيّة فإن الله مانع أباك، ماناله منّي قريش شيئاً أكرهه حتى مات أبو طالب) [٥].

وجاء عن أمير المؤمنين(عليه السلام) أنّ رسول الله(صلى الله عليه وآله)، قال : هبط جبرئيل فقال لي: يا محمد! إن الله عزّ وجلّ مشفعك في ستة: بطن حملتك آمنة بنت وهب، وصلب أنزلك عبدالله بن عبدالمطلب، وحجر كفلك أبو طالب، وبيت آواك عبدالمطلب، وأخ كان لك في الجاهلية، وثدي أرضعك حليمة بنت أبي ذؤيب [٦].

**ثانياً موقف الأئمة(عليهم السلام) :**

**أ- وتصدّى أمير المؤمنين لحملة تكفير أبيه في حينها، فقال: كان والله أبو طالب عبدمناف ابن عبدالمطلب، مؤمناً مسلماً يكتم إيمانه مخافة على بني هاشم أن ينبذها قريش [٧].**

**وقال أيضاً: مامات أبو طالب حتى أعطى رسول الله(صلى الله عليه وآله) من نفسه الرضا [٨].**

**ب - كما واجه الإمام الحسين(عليه السلام) هذه الدعوة، فقال عن والده أمير المؤمنين(عليه السلام): إنه كان جالساً في الرحبة والناس حوله فقام إليه رجل، فقال له: يا أمير المؤمنين! إنّك بالمكان الذي أنزلك الله وأبوك معذّبٌ في النار؟ قال له: مه! فضَّ الله فاك، والذي بعث محمداً بالحق نبيّاً، لو شفع أبي من كل مذنب على وجه الأرض لشفّعه الله، أأبي معذبٌ في النار وابنه قسيم الجنة والنار؟ والذي بعث محمداً بالحق، إن نور أبي طالب يوم القيامة ليطفئ أنوار الخلائق إلاّ خمسة أنوار: نور محمد ونور فاطمة، ونور الحسن والحسين ونور ولده من الأئمة، إلاّ أن نوره من نورنا خلقه الله من قبل خلق آدم بألفي عام [٩].**

**ج - ودافع الإمام علي بن الحسين السجّاد(عليه السلام) عن جدّه أبي طالب، وحاول إحباط تلك المزاعم التي تُبَثّ في أوساط الناس حول كفر أبي طالب، حيث يستهدف منها النيل من علي وولده، فأجاب الإمام السجاد عندما سُئل عن أبي طالب أكان مؤمناً؟ فقال(عليه السلام): نعم فقيل له: إن هاهنا قوماً يزعمون أنه كافر . فقال (عليه السلام): واعجبا كل العجب! أيطعنون على أبي طالب أو على رسول الله(صلى الله عليه وآله) ، وقد نهاه الله تعالى أن يقرن مؤمنة مع كافر في غير آية من القرآن، ولا يشك أحد أن فاطمة بنت أسد رضي الله تعالى عنها من المؤمنات السابقات ، فإنها لم تزل تحت أبي طالب حتى مات أبو طالب(رضي الله عنه) [١٠].**

**د - ما روي عن الإمام محمّد الباقر(عليه السلام) في أبي طالب(عليه السلام) عن أبي بصير ليث المرادي، قال قلت لأبي جعفر(عليه السلام): سيّدي! إن الناس يقولون: إن أبا طالب في ضحضاح من النار يغلي منه دماغه، فقال(عليه السلام): كذبوا والله إنّ إيمان أبي طالب لو وضع في كفّة الميزان وإيمان هذا الخلق في كفّة ميزان لرجح إيمان أبي طالب على إيمانهم**

**ثم، قال: ألم تعلموا أن أمير المؤمنين عليّاً(عليه السلام)، كان يأمر أن يحجّ عن عبدالله وابنه وأبي طالب في حياته ثمّ أوصى في وصيّته بالحج عنهم [١١].**

هـ ـ ما روي عن الإمام جعفر الصادق(عليه السلام): عن يونس بن نباتة عن الإمام الصادق(عليه السلام)، قال: يا يونس ! ما يقول الناس في أبي طالب؟

قلت: جعلت فداك يقولون : هو في ضحضاح من نار يغلي منها أمّ رأسه فقال: كذب أعداء الله، إنّ أبا طالب من رفقاء النبيين والصدّيقين والشهداء والصالحين، وحسن أُولئك رفيقاً [١٢].

وقال عبدالرحمن بن كثير: قلت لأبي عبدالله(عليه السلام): إنّ الناس يزعمون أن أبا طالب في ضحضاح من نار، فقال: كذبوا ، ما بهذا نزل جبرئيل على النبي(صلى الله عليه وآله) ، قلت: وبما نزل؟ قال: أتى جبرائيل في بعض ما كان عليه، فقال: يا محمّد! إنّ ربّك يقرئك السلام ويقول لك: إن أصحاب الكهف أسرّوا الإيمان وأظهروا الشرك فآتاهم الله أجرهم مرّتين ، وإن أبا طالب أسرّ الإيمان وأظهر الشرك فأتاه الله أجره مرّتين، وما خرج من الدنيا حتى أتته البشارة من الله تعالى بالجنة، ثم قال: كيف يصفونه بهذا؟ وقد نزل جبرائيل ليلة ـ ليلة مات أبو طالب ـ فقال: يا محمد! اخرج من مكة، فمالك بها ناصر بعد أبي طالب [١٣].

و ـ ما روي عن الإمام الكاظم(عليه السلام) عن درست بن أبي منصور أنّه سأل أبا الحسن الأوّل ـ الإمام الكاظم(عليه السلام) ـ أكان رسول الله(صلى الله عليه وآله)محجوجاً بأبي طالب؟ فقال: لا ، ولكنه كان مستودعاً للوصايا فدفعها إليه. فقال: قلت: فدفع إليه الوصايا على أنه محجوجٌ به؟ فقال: لو كان محجوجاً به ما دفع اليه الوصيّة. قال: قلت: فما كان حال أبي طالب؟ قال: أقرّ بالنبيّ وبما جاء به ودفع إليه الوصايا ومات من يومه [١٤].

ز ـ ما روي عن الإمام الرّضا(عليه السلام) : ١ ـ أخرج شيخنا الكراجكي بإسناده عن أبان بن محمد، قال: كتبت الى الإمام علي بن موسى الرضا(عليه السلام)، جعلت فداك إنّي قد شككت في إسلام أبي طالب ، فكتب إليه : (ومن يشاقق الرسول من بعد ما تبيّن له الهدى ويتبع غير سبيل المؤمنين) [١٥] الآية، وبعدها إنّك إن لم تقرّ بايمان أبي طالب كان مصيرك الى النار [١٦].

٢ ـ روى شيخنا المفسّر الكبير أبو الفتوح في تفسيره عن الإمام الرضا سلام الله عليه ، أنّه روى عن آبائه بعدّة طرق: إنّ نقش خاتمأبي طالب(عليه السلام) كان رضيت بالله ربّاً، وبابن أخي محمد نبيّاً، وبابنيعلي له وصيّاً [١٧].

## ثالثاً: الصحابة يشهدون بإسلام أبي طالب(عليه السلام)

أ: عن عكرمة عن ابن عباس قال: جاء أبو بكر الى النبي(صلى الله عليه وآله)بأبي قحافة يقوده وهو شيخ كبير أعمى، فقال رسول الله(صلى الله عليه وآله) لأبي بكر: ألا تركت الشيخ حتى نأتيه ، فقال: أردت يا رسول الله أن يأجرني الله، أما والذي بعثك بالحق لأن كنت أشدّ فرحاً بإسلام عمّك أبي طالب منّي بإسلام أبي، ألتمس بذلك قرة عينك، فقال رسول الله(صلى الله عليه وآله): صدقت [١٨].

ب: أخرج أبو جعفر الصدوق(قدس سره) في الأمالي بإسناده عن سعيد بن جبير عن عبدالله بن عباس أنّه سأله رجل، فقال له: يابن عم رسول الله! أخبرني عن أبي طالب هل كان مسلماً؟ قال: وكيف لم يكن مسلماً وهو القائل:

وقد علموا أنّ ابننا لا مكذبّ لدينا ولا يعبأ بقيل الأباطل إن أبا طالب كان مثله كمثل أصحاب الكهف حين أسرَّوا الإيمان وأظهروا الشرك، فآتاهم الله أجرهم مرتين [١٩].

وجاء عن عكرمة عن ابن عباس أنه قال: أخبرني أبي أنّأبا طالب(رضي الله عنه) شهد عند الموت أن لا إله إلاّ الله وأن محمداً رسول الله(صلى الله عليه وآله) [٢٠].

ج : في تفسير الوكيع من طريق أبي ذر الغفاري، أنه قال: والله الذي لا إله إلاّ هو، مامات أبو طالب(رضي الله عنه)حتى أسلم بلسان الحبشة قال لرسول الله(صلى الله عليه وآله): أتفقه الحبشية! قال: يا عمّ ! إن الله علّمني جميع الكلام. قال: يا محمد! (اسدن لمصاقا قاطالاها) يعني أشهد مخلصاً لا إله إلاّ الله ، فبكى رسول الله(صلى الله عليه وآله) وقال: إنّ الله أقرّ عيني بأبي طالب [٢١].

د ـ أخرج أبو الفتوح الإصفهاني بالإسناد عن محمد بن حميد قال: حدّثني أبي، فقال: سئل أبو الجهم بن حذيفة: أصَلّى النبي(صلى الله عليه وآله)على أبي طالب؟ فقال: وأين الصلاة يومئذ؟ إنما فرضت الصلاة بعد موته، ولقد حزن عليه رسول الله(صلى الله عليه وآله) وأمر عليّاً بالقيام بأمره وحضر جنازته وشهد له العبّاس وأبو بكر بالإيمان، وأشهد على صدقهما لأنه كان يكتم إيمانه، ولو عاش الى ظهور الإسلام; لأظهر إيمانه [٢٢].

قال ابن أبي الحديد: قالوا: وقد روي بأسانيد كثيرة بعضها عن العباس بن عبدالمطلب ، وبعضها عن أبي بكر بن أبي قحافة، أن أبا طالب ما مات حتى قال: لا إله إلاّ الله محمد رسول الله. والخبر المشهور أن أبا طالب قال عند الموت كلاماً خفيّاً، فأصغى إليه أخوه العباس، ثم رفع رأسه الى

رسول الله(صلى الله عليه وآله) فقال: يابن أخي! والله قد قالها عمّك ، ولكنّه ضعف عن أن يبلغك صوته [٢٣].

وفي كلام آخر لابن أبي الحديد وهو بصدد ذكر قطعية إسلام أبي طالب في نظر معاصريه قال:

ولـولا أبـو طـالب وابنـه *** لما مثل الدين شخصاً فقامـا

فـذاك بمـكة آوى وحـامى *** وهذا بيـثرب جـس الحماما

تكـفل عبـد منـاف بـأمـر *** وأودى فـكان علـيٌّ تمامـا

فقل في ثبـير مضى بعد مـا *** قضى ما قضـاه وأبقى شماما

فـللّـه ذا فـاتـحـاً للهـدى *** ولله ذا للمـعـالـي خـتـامـا

وما ضـر مجـد أبـي طـالب *** جـهول لغا أو بصـير تعامـى

كـما لا يضـر إِيـاة الصـباح *** من ظـن ضوء النـهار الظـلاما[٢٥]

## الفصل السادس

## أُسطورة كفر أبي طالب (رضي الله عنه)

تأثّر البعض هذه الأيام بالتيار الذي اقتطع صفحات من التاريخ المزيّفة، واتّخذها ديناً له، مقلّداً النهج الأُموي، بحقده ومظالمه على الرسالة وأصحاب رسول الله(صلى الله عليه وآله)، مردّداً بلا ورع ولا بحث عن الحقيقة، تلك الإثارة الأُموية القديمة: (إن أبا طالب مات كافراً).

وللإجابة على هذه الفرية نسلّط الضوء على الجذور التاريخية للحقد الجاهلي على بيت النبوّة، ثم نلخّص الزعم الخبيث للحقائق التاريخية التي مرّ ذكرها، بالإضافة للتصريحات التي تثبت إسلام هذا الرجل وسلوكه ومواقفه الشجاعة من أجل نصرة الرسالة، ثم نناقش ما تقوّله البعض لإثبات كفر أبي طالب مكابرة وعناداً وبغضاً لوصي الرسول(صلى الله عليه وآله) علي بن أبي طالب(عليه السلام) .

### أولاً: الجذور التاريخية لتكفير أبي طالب

بعد أن تألّق نجم عبدالمطلب، سادت له الأُمور، وأصبح السيد المطاع عند قريش، وجاء من بعده ولده أبو طالب، الذي ورث أباه، أصبح هو الآخر شيخاً وسيّداً للبطحاء.

وهذه الرئاسة لا تلغي الزعامات الأُخرى، لأن قريشاً كانت تتوزع على خمسة وعشرين بطناً، وكان بنو هاشم وبنو عبدالمطلب سادة بطون قريش، وكان أبو طالب شيخاً لهما.

أما أبو سفيان صخر بن حرب بن أُمية فقد كان بيده اللواء، وكانت له القيادة الحربية على باقي البطون [٢٦].

ورغم اعتراف قريش جميعاً بسيادة أبي طالب وشرفه وقوّته، إلاّ أن الحسد والمنافسة القديمة بين هاشم وأُمية مازالت باقية، تبدو وتتجسّد في حركات الخائف أبي سفيان، لأن شرف الهاشميين وعلوّ مكانتهم واحترامهم داخل مكة وخارجها، كان يقلق الأُمويين فيجعلهم يتحسبون لئلا تتزعزع مكانتهم، وقد زادهم في الأمر قلقاً واضطراباً ماسمعه أبو سفيان من خلال أسفاره بأن نبيّاً سيظهر من ولد عبدمناف ، وطرد الهاجس والقلق الذي أصابه حينما أوحى الى نفسه بأنه هو النبي الذي سيختاره الله; لتمتعه بلياقات وملكات ظنّ أنها تؤهله دون غيره للنبوة، وأنه ليس من المعقول أن تكون النبوّة في البيت الهاشمي مع وجوده بالإضافة الى الخصائص الأُخرى [٢٧].

وترقّب أبو سفيان أن يأتيه نداء السماء ليفرك به أُنوف بني هاشم، وينتقم من تفوّقهم الدائم وبالتالي ينتزع منهم الاعتراف بأنه المدعوم من السماء، وأنه السيّد الوحيد لقريش لا غيره، وارتاح لهذا الشعور الوهمي الى حين [٢٨].

وقد فوجئ عندما سمع بأن في بيت أبي طالب ابن أخيه عبدالله (محمداً) يكلَّم من السماء [٢٩] واستبعد هذا الخبر ولم تطاوعه نفسه في أن يهضمه ، وفسّره بأنه مؤامرة قد حاكها الهاشميون بزعامة أبي طالب.

وإذا صَدَقَ بأن النبوة في بيت أبي طالب فهذا معناه أن الأُمور ستُحسم لصالح بني هاشم الى الأبد، لأن النبوة سوف تأتي بحكم جديد لصالحهم، وسوف تزيح حكم البطون، وتؤدي الى انهياره من الأساس [٣٠].

من هنا بدأ أبو سفيان معارضته انطلاقاً من هذا التصور، ونصّب نفسه زعيماً لهذه المعارضة قبال البيت الهاشمي المتمثل بزعامة أبي طالب [٣١].

وتحدّى أبو طالب كل رؤساء قريش، وهدّدهم بالقتل إن أحد أقدم على قتل النبي(صلى الله عليه وآله) [٣٢].

وحرّض بني هاشم وبني عبدالمطلب ووحّد صفهم، واجتمع معهم في بيت محمّد(صلى الله عليه وآله)وقرّروا أن لا يفرّطوا بالرسول(صلى الله عليه وآله)، حتى لو قتلوا جميعاً [٣٣].

واستمرّت المعارضة برئاسة أبي سفيان، وانتصرت الرسالة بقيادة محمد(صلى الله عليه وآله)، وقَتَلَ عليّ ابن أبي طالب(عليه السلام) والهاشميون رموز الشرك المتمثّلة في بني أمية وسائر البطون [٣٤].

ومن جانب آخر فقد تآمر الأمويون على قتل النبي(صلى الله عليه وآله)، حتّى حاول أبو سفيان نفسه قتله [٣٥]، وأكلت هند أم معاوية قلب عمّ النبي(صلى الله عليه وآله) حمزة بن عبدالمطلب في واقعة أحد بعد قتله فيها [٣٦].

وبعد أن تمّ الفتح الإلهي المبين، وهُزمت البطون شرّ هزيمة، وأسلم أبو سفيان رغم أنفه ومعه جمع من البطون التي لم تكن راضية بالنتيجة الإلهية بعد هذا; أخذت تعمل خفية لتعديل الترتيبات بعد رسول الله(صلى الله عليه وآله)، لإعادة الكرّة والانتقام من الهاشميين، وأثمرت تلك الجهود فجاءت بمعاوية الى سدة الحكم، فانتقم لأبيه من أبي طالب (بحكاية أُسطورة الكفر الظالمة له).

وأنه يقال أيضاً: إن إشاعة أُسطورة كفر أبي طالب لم تكن في العصر الأموي، بل قد بثّها العباسيون وبالتحديد في زمن الخليفة العباسي أبي جعفر المنصور.

فإنّ التاريخ لم يسجل لنا ـ ولو لمرة واحدة ـ أن معاوية قد طعن في إسلام أبي طالب، مع أنه لم يرعَ عهداً ولا ذمّة في الطعن على علي(عليه السلام)، والادعاء عليه بما ليس فيه والانتقاص منه بنسبة ماهو متأكد من براءته منه.

في الوقت الذي نجد فيه أن علياً(عليه السلام) يهاجمه ـ بما فيه أُمه هند وأبوه أبو سفيان ـ من مذام ومثالب فهل كان معاوية ـ وقد صار الأمر الى الآباء والأُمهات ـ يَعفُّ عن أن يرمي عليّاً في أبيه، تهمة الكفر؟! [٣٧]

إلاّ أن السياسة شاءت ذلك، فكان لها أعوانها وحاشيتها من الكتاب والمؤرخين والرواة وما شاءت . وحق علي (عليه السلام) والأئمة من بعده في ولاية أمر الأُمة سياسياً واجتماعياً دون غيرهم، هو معتقد الشيعة، وقد صار أمر الأُمة الى غيرهم فكانت مصلحة الحاكمين، وخاصة في

العصر العباسي، بعد أن خرج كثير من أهل البيت(عليهم السلام) ضد المنصور العباسي، فأطلق هذه الفرية ضد أبي طالب ليوحي الى الناس أن العباسيين هم بنو العم الذي أسلم، بينما الطالبيون هم بنو العم الذي لم يسلم، وبذلك يزكّي ويرجّح موقفه السياسي على خصومه أهل البيت [٣٨].

نعم، مسألة تكفير أبي طالب جاءت بوحي السياسة، لكن أيُّ سياسة هذه، العباسية أم الأُموية؟ لا ضير أن نقول : إن العباسيين قد استثمروا أرضية وجهوداً كان قد أعدّها وأسس لها الأُمويون من قبل، فهي قضية تؤدي خدمات كثيرة للسياستين معاً.

أمّا صمت معاوية وعدم خوضه في مسألة كفر أبي طالب، لم يكن ناشئاً من وضوح إسلام أبي طالب وإحكامه أو حرمته وقدسيته عند الله، أو يفسّر كونه ناتجاً عن ورع وتعقل قد أبداه معاوية إزاء علي(عليه السلام) ; بل من المحتمل أن أقطاب الحكم الأُموي كعمرو بن العاص، هو الذي كان قد تكفّل الأمر لأنه لم ينسَ بعد رسالة أبي طالب للنجاشي، عندما حذّره من كيد عمرو بن العاص ضد المسلمين في حياة رسول الله(صلى الله عليه وآله) .

ثم إن الأجهزة الدعائية ووعّاظ السلاطين التي أنشأها معاوية، تجيد اللعبة، وتعلم حدود ومواطن تحرّكها، وماهي الأساليب التي ترضي معاوية وتحقّق له الثأر من خصومه، فقد تكون هي التي قامت بالأمر آنذاك.

وأخيراً من المعلوم أن الإمام علياً(عليه السلام) والإمام الحسين بن علي(عليه السلام)والإمام السجاد(عليه السلام)والباقر(عليه السلام) ، قد واجهوا هذه الإشاعة وعالجوها على أحسن وجه، وهؤلاء قد عاصروا الحكم الأُموي لا العباسي، فهذا دليل على كونها ظاهرة قبل أيام المنصور.

## ثانياً : تصاريح وشهادات بإيمان أبي طالب(عليه السلام)

### ١ ـ أبو طالب يدعو الله بسقوط المطر:

أصاب مكة قحط شديد في سنة من السنين، فطلبت قريش من أبي طالب أن يستسقي لها، فخرج ومعه غلام ـ وهو رسول الله(صلى الله عليه وآله) ـ كأنه شمس دَجْن تجلّت عنها سحابة قتماء وحوله أُغيلمةٌ ، فأخذه أبو طالب فألصق ظهره بالكعبة، ولاذ الغلام بإصبعه (أي أشار بها الى السّماء وما في السّماء قزعة)، فأقبل السحاب من هاهنا وهاهنا، وأغدق ، واغرورق وانفجر له الوادي وأخصب البادي والنادي [٣٩].

وفي ذلك يقول أبو طالب في مدح رسول الله(صلى الله عليه وآله) :

وأبيض يُستسقى الغمام بوجهه *** ثمال اليتامى عصمة الأرامل

يَلوذ به الهُلاّك من آل هاشم *** فهم عنده في نعمة وفواضل

وميزانُ عدل لا يخسُ شعيرة ***وأوزان صدق وزنُه غير هائل [٤٠]

٢ ـ جواب أبي طالب لعلي(عليهما السلام) عندما قال له ذات ليلة وهو في الشعب يفدي بنفسه رسول الله: يا أبتاه! إني مقتول ذات ليلة.

فأجابه أبو طالب:

اصبرَن يا بُنيّ فالصبر أحجى *** كُلُ حيٍّ مصيره لشُعُوبِ

قد بلوناك والبلاء شديد *** لِفداء النجيب وابن النجيب

فأجابه علي(عليه السلام) بكلام أكثر عذوبة قائلاً:

أتأمرني بالصبر في نصر أحمد *** ووالله ما قُلتُ الذي قلت جازعاً

ولكنني أحببتُ أن ترى نصرتي *** وتعلم أني لم أزل لك طائعاً [٤١]

٣ ـ قول أبي طالب(عليه السلام)لجعفر (رضي الله عنه) : صل جناح ابن عمّك وصَلّ عن يساره [٤٢].

٤ ـ لمّا علم أن قريشاً عملت على الدس لدى النجاشي ضد مهاجري المسلمين لها; كتب إليه كتابين من الشعر، نبّهه في أحدهما الى هذا الدس ، وأغراه بأن يكون على الأمل في شهامته وبسط جواره على كل من يلجأ الى حماه، وذلك إذ يقول كما مرّ:

تَعلَّمْ أبيت اللعن أنك ماجد كريم *** فلا يشقى لديك المجانب [٤٣]

٥ ـ قوله: يا معشر قريش كونوا له ـ لمحمد(صلى الله عليه وآله) ـ ولاةً ولحزبه حماةً، والله لا يسلك أحد منكم سبيله إلا رَشَدَ، ولا يأخذ أحد بهديه إلا سَعَدَ [٤٤].

٦ ـ تهديده لِرؤساء قريش بالقتل إن لم يعد محمد سالماً [٤٥].

٧ ـ ولما حضرته الوفاة; دعا بني عبدالمطلب وقال: لن تزالوا بخير ما سمعتم من محمد، وما اتبعتم أمره، فاتبعوه وأعينوه ترشدوا [٤٦].

٨ ـ شجع أبو طالب الهاشميين والمطلبيين على الحضور في أول اجتماع سياسي في دار النبي(صلى الله عليه وآله)،وسُمّي الحديث الذي دار في هذا الاجتماع بحديث الدار [٤٧].

٩ ـ حذّر أبو طالب البطون قائلاً: والله لو قتلتموه; لا يبقى فيكم أحد حتى نتفانى نحن وأنتم [٤٨].

١٠ ـ وقال للنبي(صلى الله عليه وآله) متحديّاً كبرياء البطون: يا ابن أخي! إذا أردت أن تدعو الى ربّك فأعلمنا حتى نخرج بالسلاح [٤٩].

١١ ـ قول رسول الله(صلى الله عليه وآله) فيه: ما نالت مني قريش حتى مات أبوطالب [٥٠].

١٢ ـ سمّى رسول الله(صلى الله عليه وآله) العام الذي مات فيه أبو طالب وخديجة بعام الحزن [٥١].

١٣ ـ عبّر رسول الله(صلى الله عليه وآله) بموت أبي طالب وخديجة بالمصيبتين، فقال: اجتمعت على الأُمة هذه الأيام مصيبتان، لا أدري بأيّهما أنا أشد جزعاً [٥٢].

١٤ ـ قال رسول الله(صلى الله عليه وآله) في أبي طالب لما مات: وصلتك رحم ياعم، وجزيت خيراً فلقد ربّيت وكفلت صغيراً، ونصرت وآزرت كبيراً وبعد أن تبعه الى حفرته وقف عليه فقال(صلى الله عليه وآله):

أما والله لأستغفرن لك ولأشفعن فيك شفاعة يُعجب لها الثقلان [٥٣].

١٥ ـ ورد عن أبي طالب شعر كثير يكشف عن إسلامه واعتقاده، بأن محمداً(صلى الله عليه وآله) نبيّ كباقي الأنبياء، منه قوله:

ولقد علمت بأن دين محمد *** من خير أديان البريّة ديناً [٥٤]

وقوله:

ألم تعلموا أنا وجدنا محمداً *** نبيّاً كموسى خُطَّ في أول الكتب [٥٥]

وقوله :

ويا شاهد الخلق عليَّ فاشهد *** إني على دين النبي أحمد

من ضل في الدين فإنّي مهتدي [٥٦]

١٦ ـ إن أبا طالب كان يرى بطلان عقيدة قومه من حين مبعث رسول الله(صلى الله عليه وآله) بالإسلام، وقد ثبت أنه كان يدين بالحنيفية، والحنفاء لم يهموا بصنم قطّ ، ولم يسجدوا لوثن أبداً، كما كان على ذلك أبوه عبدالمطلب تماماً [٥٧].

١٧ ـ حبّ النبيّ ورقّته على أبي طالب، حين أصابت قريشاً أزمة مهلكة وسنة مجدبة، وأصاب أبا طالب ما أصاب قريشاً من الفقر والفاقة، فبادر رسول الله(صلى الله عليه وآله) لأجل معالجة الأزمة التي مرّ بها عمّه أبو طالب، ففاتح عمّه العباس فقال له: يا أبا الفضل! إن أخاك كثير العيال

مختل الحال ضعيف النهضة والعزمة، وقد نزل به ما نزل من هذه الأزمة، وذوو الأرحام أحقّ بالرفد وأولى بالحمل، الكل في ساعة الجهد فانطلق بنا لِنُعِنْهُ على ما هو عليه.

فأخذا عنه أولاده تخفيفاً من ضيق العيش، أخذ رسول الله(صلى الله عليه وآله)عليّاً وأخذ العباس جعفراً [٥٨].

انظر الى هذه الرقّة العميقة من النبي(صلى الله عليه وآله) على أبي طالب والحب له والشفقه عليه، وقد وصف الله المؤمنين بالشدة على الكافرين حيث يقول: (أشدّاء على الكفّار رحماء بينهم) [٥٩] . وقوله تعالى: (أذلّة على المؤمنين أعزّة على الكافرين) [٦٠] والنبي أفضل المؤمنين فكيف يجوز لمسلم أن يصف أبا طالب بالكفر وقد اشتهر عن النبي حبّه البالغ له والميل إليه؟

١٨ ـ قال العباس لرسول الله(صلى الله عليه وآله): أترجو لأبي طالب؟ قال : كل الخير أرجو من ربّي [٦١].

قال الشيخ المفيد: فلو أنه(رحمه الله)مات على غير الإيمان; لما جاز من رسول الله(صلى الله عليه وآله) رجاء الخير له من الله عزّ وجل، مع ما قطع له تعالى في القرآن من خلود الكفار في النار وحرمان الله لهم سائر الخيرات وتأبيدهم في العذاب على وجه الاستحقاق والهوان [٦٢].

١٩ ـ تصاريح أئمة أهل البيت(عليهم السلام) كالإمام علي(عليه السلام) والإمام الحسين(عليه السلام) والإمام علي بن الحسين(عليه السلام) والإمام الباقر(عليه السلام)والإمام الصادق(عليه السلام) والإمام الرضا(عليه السلام).

٢٠ ـ تصريحات جمع من الصحابة، كما مرّ بيانه.

٢١ ـ لا يشك أحد بأنّ فاطمة بنت أسد(رض) من المؤمنات السابقات، فعندما توفيت كفّنها رسول الله(صلى الله عليه وآله) بقميصه ودعا لها بقوله: اللهمّ اغفر لأُمّي... وإنّها بقيت زوجة لأبي طالب حتى ماتت فإذا مات أبو طالب على الكفر فهذا يتعارض مع الخطاب الإلهي القاضي بأن لا يقرن مؤمنة مع كافر وأن يفرّق بينهما، وهذا الاجراء لم يتّخذ في أبي طالب [٦٣].

## ثالثاً: مناقشة مزاعم القائلين بكفر أبي طالب.

قالوا: ذهب بعض المعتزلة وأكثر الجمهور من أهل السنّة الى أن أبا طالب مات على غير الإسلام [٦٤]، وأن نصرته ودفاعه عن النبي(صلى الله عليه وآله) كان بدافع القرابة والعصبية ، مستدلّين بجملة من الآيات والروايات والأشعار منها:

ألف ـ قوله تعالى: (وهم ينهون عنه وينأون عنه وإن يهلكون إلاّ أنفسهم وما يشعرون) [٦٥].

أخرج الطبري وغيره من طريق سفيان الثوري عن حبيب بن أبي ثابت عمّن سمع ابن عبّاس أنّه قال: إنّها نزلت في أبي طالب، ينهى عن أذى رسول الله(صلى الله عليه وآله) أن يؤذى، وينأى أن يدخل الإسلام [٦٦].

وقال القرطبي: هو عامّ في جميع الكفّار أي ينهون عن اتّباع محمدّ(صلى الله عليه وآله) وينأون عنه، عن ابن عباس والحسن . وقيل: هو خاصٌّ بأبي طالب ينهى الكفار عن أذيّة محمد(صلى الله عليه وآله)ويتباعد عن الإيمان به، عن ابن عباس أيضاً. روى أهل السير قال: كان النبي(صلى الله عليه وآله) قد خرج الى الكعبة يوماً وأراد أن يصلّي، فلمّا دخل في الصلاة قال أبو جهل ـ لعنه الله ـ : من يقوم الى هذا الرجل فيفسد عليه صلاته؟ فقام ابن الزبعري فأخذ فرثاً ودماً فلطّخ به وجه النبي(صلى الله عليه وآله) الى أن قال : فنزلت هذه الآية : (وهم ينهون عنه وينأون عنه). فقال النبي(صلى الله عليه وآله) : ياعم: نزلت فيك آية. قال: وماهي؟ قال: تمنع قريشاً أن تؤذيني ، وتأبى أن تؤمن بي؟ فقال أبوطالب:

والله لن يصلوا إليك بجمعهم *** حتى أوسّد في التراب دفينا

فقالوا: يا رسول الله! هل تنفع نصرة أبي طالب ؟ قال: نعم دفع عنه بذاك الغلّ، ولم يقرن مع الشياطين، ولم يدخل في جبِّ الحيّات والعقارب، إنّما عذابه في نعلين من نار يغلي منهما دماغه في رأسه، وذلك أهون أهل النار عذاباً [٦٧].

قال العلاّمة الأميني: نزول هذه الآية في أبي طالب باطل لا يصحّ من نواح شتّى :

١ ـ إرسال حديثه بمن بين حبيب بن أبي ثابت وابن عباس، وكم وكم غير ثقة في أُناس رووا عن ابن عبّاس ولعلّ هذا المجهول أحدهم.

٢ ـ إنّ حبيب بن أبي ثابت انفرد به ولم يروه أحد غيره، ولا يمكن المتابعة على ما يرويه، ولو فرضناه ثقة في نفسه بعد قول ابن حبّان: إنّه كان مدلِّساً . وقول العقيلي غمزه ابن عون، وله عن عطاء أحاديث لا يتابع عليها. وقول القطّان : له غير حديث عن عطاء لا يتابع عليه وليست

بمحفوظة. وقول الآجري عن أبي داود: ليس لحبيب عن عاصم بن ضمرة شيء يصح، وقول ابن خزيمة : كان مدلِّساً [٦٨].

ونحن لا نناقش في السند بمكان سفيان الثوري، ولا نؤاخذه بقول من قال: إنّه يدلِّس ويكتب عن الكذّابين [٦٩].

٣ ـ إن الثابت عن ابن عباس بعدّة طرق مسندة يضادّ هذه المزعمة، ففيما رواه الطبري وابن المنذر وابن أبي حاتم وابن مردويه من طريق علي بن أبي طلحة وطريق العوفي عنه: أنّها في المشركين الذين كانوا ينهون الناس عن محمد أن يؤمنوا به، وينأون عنه ـ يعني ـ يتباعدون عنه [٧٠].

وقد تأكد ذلك بما أخرجه الطبري وابن أبي شيبة وابن المنذر وابن أبي حاتم وعبد بن حميد من طريق وكيع عن سالم عن ابن الحنفية، ومن طريق الحسين بن الفرج عن أبي معاذ ، ومن طريق بشر عن قتادة.

وأخرج عبدالرزاق وابن جرير وابن المنذر وابن أبي حاتم وأبو الشيخ عن قتادة والسدي والضحاك، ومن طرق أبي نجيح عن مجاهد، ومن طريق يونس عن ابن زيد قالوا: ينهون عن القرآن وعن النبيّ، وينأون عنه يتباعدون عنه [٧١].

وليس في هذه الروايات أيّ ذكر لأبي طالب، وإنّما المراد فيها الكفار الذين كانوا ينهون عن اتّباع رسول الله أو القرآن، وينأون عنه بالتباعد والمناكرة، وأنت جدّ عليم بأن ذلك كلّه خلاف ما ثبت من سيرة شيخ الأبطح الذي آواه ونصره وذبّ عنه ودعا إليه الى آخر نفس لفظه.

٤ ـ إن المستفاد من سياق الآية الكريمة أ نّه تعالى يريد ذمّ أُناس أحياء ينهون عن اتّباع نبيّه ويتباعدون عنه، وأن ذلك سيرتهم السيئة التي كاشفوا بها رسول الله(صلى الله عليه وآله) ، وهم متلبِّسون بها عند نزول الآية كما هو صريح ما أسلفناه من رواية القرطبي، وأن النبي(صلى الله عليه وآله)أخبر أبا طالب بنزول الآية.

لكن نظراً الى ما نقلوه عن الصحيحين فيما زعموه من أنّ قوله تعالى في سورة القصص: (إنّك لا تهدي من أحببت ولكن الله يهدي من يشاء) نزلت في أبي طالب بعد وفاته، فحينئذ لا يتمّ نزول آية ينهون عنه وينأون ـ النازلة في أُناس أحياء ـ في أبي طالب، فإنّ سورة الأنعام التي فيها الآية المبحوث عنها نزلت جملة واحدة [٧٢]بعد سورة القصص بخمس سور [٧٣].

فكيف يمكن تطبيقها على أبي طالب وهو رهن أطباق الثرى، وقد توفّي قبل نزول الآية ببرهة طويلة؟!

٥ ـ إنّ سياق الآيات الكريمة هكذا: (ومنهم من يستمع إليك وجعلنا على قلوبهم أكنّة أن يفقهوه وفي آذانهم وقراً وإن يروا كل آية لا يؤمنوا بها حتى إذا جاءوك يجادلونك يقول الذين كفروا إن هذا إلاّ أساطير الأوّلين* وهم ينهون عنه وينأون عنه وإن يهلكون إلاّ أنفسهم وما يشعرون) [٧٤].

وهو كما ترى صريح بأن المراد بالآيات كفّار جاءوا النبي فجادلوه وقذفوا كتابه المبين بأنّه من أساطير الأوّلين، وهؤلاء الذين نهوا عنه (صلى الله عليه وآله) وعن كتابه الكريم، ونأوا وباعدوا عنه، فأين هذه كلّها عن أبي طالب الذي لم يفعل كلّ ذلك طيلة حياته؟!

وذكر ابن كثير في تفسيره القول الأول نقلاً عن ابن الحنفيّة وقتادة ومجاهد والضحاك وغير واحد ، فقال: وهذا القول أظهر والله أعلم، وهو اختيار ابن جرير [٧٥].

ب ـ قوله تعالى: (ما كان للنبي والذين آمنوا أن يستغفروا للمشركين ولو كانوا أُولي قربى من بعد ما تبيّن لهم أنّهم أصحاب الجحيم) [٧٦].

ج ـ قوله تعالى: (إنّك لا تهدي من أحببت ولكن الله يهدي من يشاء وهو أعلم بالمهتدين) [٧٧].

أخرج البخاري في الصحيح في كتاب التفسير في القصص [٧٨]، قال: حدثنا أبو اليمان: أخبرنا شعيب عن الزهري قال: أخبرني سعيد بن المسيب عن أبيه قال: لمّا حضرت أبا طالب الوفاة جاءه رسول الله(صلى الله عليه وآله) فوجد عنده أبا جهل وعبدالله بن أبي أُمية بن المغيرة فقال: أي عمّ! قل: لا إله إلاّ الله . كلمة أُحاجّ لك بها عند الله. فقال أبو جهل وعبدالله بن أبي أُمية: أترغب عن ملّة عبدالمطلب؟ فلم يزل رسول الله(صلى الله عليه وآله) يعرضها عليه ويعيد أنه بتلك المقالة حتىّ قال أبو طالب آخر ما تكلّم : على ملّة عبدالمطلب وأبى أن يقول: لا إله إلاّ الله . فقال رسول الله(صلى الله عليه وآله) : والله لأستغفرن لك ما لم أنه عنك. فأنزل الله: (ما كان للنبي والذين آمنوا أن يستغفروا للمشركين)وأنزل في أبي طالب فقال لرسول الله(صلى الله عليه وآله) : (إنّك لا تهدي من أحببت ولكن الله يهدي من يشاء).

وفي مرسلة الطبري: فنزلت: (ما كان للنبي...الآية). ونزلت: (إنّك لا تهدي من أحببت).

**وأخرجه مسلم في صحيحه من طريق سعيد بن المسيب، وتبع الشيخين جلّ المفسّرين لحسن ظنّهم بهما وبالصحيحين.**

---

[١] شرح النهج لابن أبي الحديد: ٧٦/١٤ كتاب ٩، من كتاب له(عليه السلام) الى معاوية، ذكر اختلاف الرأي في إيمان أبي طالب وراجع بهذا المعنى تاريخ الخطيب للبغدادي: ١٩٨/١٣ ذكر من اسمه معاوية، معاوية بن عبيدالله، رقم ٧١٧٤، وتاريخ ابن كثير: ١٢٥/٣، وتذكرة الخواص: ٦، والإصابة : ١١٦/٤ ترجمة أبي طالب ٦٨٤، وشرح شواهد المغني: ١٣٦، وتاريخ اليعقوبي: ٣٥٥/١، باب وفاة خديجة وأبو طالب، وابن سعد في الطبقات: ٢٠٦/١، وابن عساكر في الخصائص الكبرى: ٨٧/١ .

[٢] التوبة: ٨٤ .

[٣] التوبة: ١١٤.

[٤] ايمان أبي طالب للشيخ للمفيد: ٢٧.

[٥] تاريخ الطبري: ٨٠/٢ ، صححه نخبة من العلماء، ط مؤسسة الأعلمي، تاريخ ابن عساكر: ٢٨٤/١، مستدرك الحاكم : ٦٢٢/٢ كتاب التاريخ، كتاب الهجرة الى الحبشة، تاريخ ابن كثير: ١٢٢/٣ و ١٣٤، الصفوة لابن الجوزي : ٢١/١، الفائق للزمخشري: ٢١٣/٢، تاريخ الخميس: ٢٥٣/١، السيرة الحلبية: ٣٧٥/١، فتح الباري : ١٥٣/٧ ـ ١٥٤، شرح الشواهد المفتي: ١٣٦ نقلاً عن البيهقي ، أسنى المطالب: ١١ و ٢١، طلبة الطالب: ٤ و ٥٤ ، الغدير : ٣٧٦/٧ ـ ٣٧٧.

[٦] التعظيم والمنّة للحافظ السيوطي: ٢٥ وفي هذا المعنى في ذخائر العقبى : ٧، الدرج المتبقية للسيوطي: ٧، مسالك الحنفاء: ١٤.

[٧] الغدير: ٣٨٨/٧.

[٨] المصدر السابق .

[٩] الغدير : ٣٨٧/٧، ح٧، كنز الفوائد للمحدث الكراجكي: ١٨٣/١ .

[١٠] شرح نهج البلاغة لابن أبي الحديد: ١٤، ٦٩، كتاب ٩، من كتاب له(عليه السلام) الى معاوية، باب اختلاف الرأي في ايمان أبي طالب، الغدير : ٣٨٠/٧ و ٣٨٩، كتاب الحجة على الذاهب الى تكفير أبي طالب: ٢٤ .

[١١] الغدير : ٣٨٠/٧ و ٣٩٠ وشرح النهج لابن أبي الحديد: ١٤ / ٦٨ كتاب ٩، من كتاب له(عليه السلام)الى معاوية، باب اختلاف الرأي في ايمان أبي طالب والحجة على الذاهب الى تكفير أبي طالب: ١٨، كنز الفوائد: ٨٠/١ ومستدرك البحار: ٤٤٧/٦، باب ايمان أبي طالب وردّ أخبار الضحضاح.

[١٢] الغدير: ٣٩٢/٧ ـ ٣٩٣ عن كنز الفوائد لشيخنا الكراجكي: ٨٠ وكتاب الحجة على الذاهب الى تكفير أبي طالب: ١٧.

[١٣] الغدير: ٣٩٠/٧ عن المجلسي في البحار: ٢٤/٩، أبو طالب حامي الرسول، نجم الدين العسكري، بعض الأحاديث المروية من أهل البيت(عليهم السلام) في حق جدّهم أبي طالب، أبو الفتوح الرازي في تفسيره: ٢١٢/٤.

[١٤] الغدير: ٣٩٤/٧.

[١٥] النساء: ١١٤.

[١٦] الغدير: ٣٨١/٧ و ٣٩٤ والحجة على الذاهب الى تكفير أبي طالب: ١٦، كنز الفوائد: ٨٠، شرح نهج البلاغة: ١٤ / ٦٨، باب اختلاف الرأي في ايمان أبي طالب.

[١٧] الغدير: ٣٩٥/٧، تفسير أبو الفتوح الرازي: ٢١١/٤.

[١٨] شرح نهج البلاغة: ٦٩/١٤، باب اختلاف الرأي في إيمان أبي طالب، الحجة على الذاهب الى تكفير أبي طالب: ١٣٧ ـ ١٣٨.

[١٩] الغدير: ٧ / ٣٩٦ ، الحجة على الذاهب الى تكفير أبي طالب، وشرح نهج البلاغة: ٧٠/١٤، باب اختلاف الرأي في إيمان أبي طالب.

[٢٠] الغدير: ٣٩٧/٧ ، شرح نهج البلاغة: ٧١/١٤، باب اختلاف الرأي في إيمان أبي طالب.

[٢١] الغدير: ٣٩٨/٧، ضياء العالمين للشيخ أبي الحسن الشريف.

[٢٢] الغدير: ٣٩٩/٧، الحجة على الذاهب الى تكفير أبي طالب: ٣٠٠ ـ ٣٠١.

[٢٣] شرح النهج لابن أبي الحديد: ٧١/١٤ باب اختلاف الرأي في ايمان أبي طالب.

[٢٤] إياة الصّبح: ضوؤه، وأصله في الشمس.

[٢٥] شرح نهج البلاغة ابن أبي الحديد: ١٤، ٨٣، ٨٤، كتاب ٩ من كتاب له(عليه السلام) الى معاوية، اختلاف الرأي في إيمان أبي طالب.

[٢٦] السيرة الحلبية: ١٥/١ باب نسبه الشريف(صلى الله عليه وآله).

[٢٧] السيرة الحلبية: ٨٠/١ ، الخصائص الكبرى: ٤١/١.

[٢٨] المصدر السابق : ١٢/١ ـ ١٥.

[٢٩] تاريخ اليعقوبي: ٢٤/١.

[٣٠] تاريخ اليعقوبي : ٣١/١ ـ ٣٢، شواهد التنزيل للحسكاني الحنفي: ١٤٣/١.

[٣١] شواهد التنزيل للحسكاني الحنفي: ١٤٣/١ ، الصواعق المحرقة: ١٥.

[٣٢] تاريخ اليعقوبي: ٣٤٥/١ و ٣٤٦ ، باب المبعث والاسراء وطبقات ابن سعد: ٢٠٢/١ باب ممشى قريش الى أبي طالب.

[٣٣] طبقات ابن سعد: ١٨٦/١ ، السيرة الحلبية: ٣٠٤/١.

[٣٤] راجع تاريخ اليعقوبي: ١/ ٣٦٣ وما بعدها.

[٣٥] طبقات ابن سعد: ٩٤/٢ باب سرية عمرو بن أُمية الضمري.

[٣٦] شرح نهج البلاغة: ٥٠٤/١.

[٣٧] شرح نهج البلاغة، محمد جواد مغنية: ٤٧١/٣.

[٣٨] عقيدة أبي طالب ، السيد طالب الرفاعي: ٥٠.

[٣٩] بحار الأنوار: ٣/١٨، باب معجزاته(صلى الله عليه وآله) واستجابة دعائه، الغدير: ٣٤٦/٧، سبل الهدى والرشاد ، الصالحي الشامي: ١٣٧/٢، عن ابن عساكر.

[٤٠] إرشاد الساري في شرح البخاري للقسطلاني: ٢٢٧/٢ ، المواهب اللدنية : ٤٨/١، السيرة الحلبية: ١١٦/١ باب وفاة عبدالمطلب وكفالة عمّه أبي طالب، السيرة النبوية لابن هشام: ٢٧٢/١ ـ ٢٨٠ باب تحيّر الوليد بن المغيرة فيما يصف القرآن، البداية والنهاية لابن كثير: ٥٢/٣ ـ ٥٧.

[٤١] بحار الأنوار : ٤/١٩.

[٤٢] أُسد الغابة: ٣٤١/١، ترجمة جعفر بن أبي طالب رقم ٧٥٩، الإصابة: ١١٦/٤ ترجمة أبي طالب رقم ٦٨٥، السيرة الحلبية: ٢٦٩/١، باب ذكر أوّل الناس، إيماناً به(صلى الله عليه وآله)، أسنى المطالب: ٦.

[٤٣] سيرة ابن هشام: ٣٣٣/١ ـ ٣٣٤، باب إرسال قريش الى الحبشة في طلب المهاجرين إليها.

[٤٤] تاريخ الخميس: ٣٣٩/١، الروض الآنف: ٢٥٩/١، المواهب: ٧٢/١، بلوغ الأرب: ٣٢٧/١، السيرة الحلبية: ٣٥٢/١، باب ذكر وفاة عمّه أبي طالب، السيرة لزيني دحلان هامش الحلبية: ٣٥١/١، أسنى المطالب: ٥.

[٤٥] الطبقات الكبرى لابن سعد: ٢٠٣/١ ، ذكر ممشى قريش الى أبي طالب،والطرائف: ٨٥.

[٤٦] تذكرة السبط: ٥، الخصائص الكبرى: ٨٧/١، السيرة الحلبية: ٣٥٢/١، باب ذكر وفاة عمّه أبي طالب، سيرة زيني دحلان: ٩٢/١.

[٤٧] الكامل لابن الأثير: ٢٤/٢.

[٤٨] الطبقات الكبرى لابن سعد: ٢٠٣/١، ذكر ممشى قريش الى أبي طالب.

[٤٩] تاريخ اليعقوبي: ٣٤٧/١، باب النذارة.

[٥٠] الكامل لابن الأثير : ٢١/٢.

[٥١] تاريخ اليعقوبي: ٣٥٤/١، وفاة خديجة وأبي طالب.

[٥٢] المصدر السابق : ١ / ٣٥٥، وفاة خديجة وأبي طالب .

[٥٣] شرح النهج لابن أبي الحديد: ٧٦/١٤ كتاب ٩، من كتاب له(عليه السلام) الى معاوية.

[٥٤] المصدر السابق: ٧٢/١٤ .

[٥٥] المصدر السابق : ٥٥/١٤ وما بعدها كتاب ٩، من كتاب له(عليه السلام) الى معاوية ، نقلاً عن ديوانه: ١٧٦، ١٧٧.

[٥٦] غاية المطالب: ٧٥.

[٥٧] القاضي عياض في كتابه (الشّفاء): ١٨٣/١ ، إكمال الدّين للصّدوق: ١٠٤.

[٥٨] راجع سيرة ابن هشام: ٢٤٥/١ ـ ٢٤٦ ذكر أن علي بن أبي طالب(عليه السلام) أوّل من أسلم، وهذه القصة متفق عليها في كتب السِيَر.

[٥٩] الفتح: ٢٩.

[٦٠] المائدة: ٥٤.

[٦١] الطبقات لابن سعد: ١٢٥/١، الخصائص الكبرى: ٨٧/١.

[٦٢] الشيخ المفيد في إيمان أبي طالب: ٢٧ ضمن مجموعة مصنفاته.

[٦٣] التفسير الكبير للفخر الرازي : ٦١/٣، وصحيح البخاري: ١٧٢/٦ باب إذا أسلمت المشركة.

[٦٤] شرح نهج البلاغة : ٦٨/١٤ كتاب ٩، من كتاب له(عليه السلام) الى معاوية.

[٦٥] الأنعام: ٢٦.

[٦٦] طبقات ابن سعد: ١٠٥/١، تاريخ الطبري: ١١٠/٧، تفسير ابن كثير: ١٣١/٢، فصل في وفاة أبي طالب، الكشاف: ١٤/٢، تفسير الآية (وهم ينهون عنهوينأون...)، تفسير ابن جزى: ٦/٢، تفسير الخازن: ١٠٦/٢ تفسير الآية (وهم ينهون عنه وينأون ...).

[٦٧] تفسير القرطبي: ٤٠٦/٦ تفسير الآية ٢٦ من سورة الأنعام.

[٦٨] تهذيب التهذيب: ١٧٩/٢ ترجمة حبيب بن أبي ثابت.

[٦٩] ميزان الاعتدال: ٣٩٦/١.

[٧٠] تفسير الطبري: ٧١/٥، تفسير الآية ٢٦ من سورة الأنعام، الدر المنثور: ١٥/٣ ، تفسير الآية ٢٦ من سورة الأنعام.

[٧١] تفسير الطبري: ٧١/٥، تفسير الآية ٢٦ من سورة الأنعام، ، وتفسير الآلوسي: ١٢٦/٧.

[٧٢] أخرجه أبو عبيد وابن المنذر والطبراني وابن مردويه والنحاس من طريق ابن عباس والطبراني وابن مردويه من طريق عبدالله بن عمر، راجع تفسير القرطبي: ٣٨٢/٦، ٣٨٣، تفسير ابن كثير: ١٢٦/٢، الدر المنثور : ٢/٣، تفسير الشوكاني:٩١/٣ ، ٩٢.

[٧٣] الإتقان: ١٧/١.

[٧٤] الأنعام : ٢٥ ـ ٢٦ .

[٧٥] التفسير العظيم لابن كثير: ١٣٢/٢، تفسير الآية ٢٦ من سورة الأنعام.

[٧٦] التوبة : ١١٣.

[٧٧] القصص : ٥٦.

[٧٨] صحيح البخاري : ١٨/٦، دار الفكر.

# مواقع النظر في هذه الرواية

١ ـ إن سعيد الذي انفرد بنقل هذه الرواية وكان ممّن ينصب العداء لأمير المؤمنين علي(عليه السلام)، فلا يُحتجّ بما يقوله أو يتقوّله فيه وفي أبيه وفي آله وذويه ، فإنّ الوقيعة فيهم أشهى مأكلة له، فقد قال ابن أبي الحديد في الشرح [١]: وكان سعيد بن المسيب منحرفاً عنه(عليه السلام) ، وجابهه عمر بن علي(عليه السلام)في وجهه بكلام شديد، روى عبدالرحمن بن الأسود عن أبي داود الهمداني قال: شهدت سعيد بن المسيب وأقبل عمر بن علي بن أبي طالب(عليه السلام) فقال له سعيد: يا ابن أخي! ما أراك تكثر غشيان مسجد رسول الله(صلى الله عليه وآله) ، كما يفعل إخوتك وبنو أعمامك؟ فقال عمر: يا ابن المسيب ! أكُلّما دخلت المسجد أجيء فأشهدك؟ فقال سعيد: ما أُحبّ أنت غضب. سمعت أباك يقول: إن لي من الله مقاماً لهو خير لبني عبدالمطلب ممّا على الأرض من شيء. فقال عمر: وأنا سمعت أبي يقول: ما كلمة حكمة في قلب منافق فيخرج من الدنيا إلاّ يتكلّم بها. فقال سعيد: ياابن رسول الله! ياابن أخي! جعلتني منافقاً ؟ قال: هو ما أقول لك. ثم انصرف.

وأخرج الواقدي أن سعيد بن المسيب مرّ بجنازة السجّاد عليّ بن الحسين بن علي بن أبي طالب(عليهم السلام) ولم يصلّ عليها، فقيل له: ألا تصلّي على هذا الرجل الصالح من أهل البيت الصالحين؟ فقال: صلاة ركعتين أحبّ إليَّ من الصلاة على الرجل الصالح.

ويعرِّفك سعيد بن المسيب ومبلغه من الحيطة في دين الله ما ذكره ابن حزم [٢]. عن قتادة قال: قلت لسعيد: أنصلي خلف الحجّاج؟ قال: إنّا لنصلّي خلف من هو شرّ منه.

٢ ـ إنّ ظاهر رواية البخاري كغيرها تعاقب نزول الآيتين عند وفاة أبي طالب(عليه السلام)، كما أنّ صريح ما ورد في كلّ واحدة من الآيتين نزولها عند ذاك ولا يصحّ ذلك، لأنّ الآية الثانية منهما مكّية والأُولى مدنيّة، نزلت بعد الفتح بالاتفاق وهي في سورة البراءة المدنية التي هي آخر ما نزل من القرآن [٣]، فبين نزول الآيتين ما يقرب من عشر سنين أو يربو عليها.

٣ ـ إنّ آية الاستغفار نزلت بالمدينة بعد موت أبي طالب بعدّة سنين تربو على ثمانية أعوام، فهل كان النبي(صلى الله عليه وآله) خلال هذه المدّة يستغفر لأبي طالب(عليه السلام) ؟ أخذاً بقوله(صلى الله عليه وآله) : والله لأستغفرنّ لك وما لم أُنه عنك؟ وكيف كان يستغفر له؟ وكان هو(صلى الله عليه وآله) والمؤمنون ممنوعين عن موادّة المشركين والمنافقين وموالاتهم

والاستغفار لهم ـ الذي هو من أظهر مصاديق التوادد والتحابب ـ منذ دهر طويل بقوله تعالى: (لا تجد قوماً يؤمنون بالله واليوم الآخر يوادّون من حادّ الله ورسوله ولو كانوا آباءهم أو ابناءهم أو إخوانهم أو عشيرتهم ، أُولئك كتب في قلوبهم الإيمان وأيّدهم بروح منه) [٤].

وهذه الآية من سورة المجادلة المدنيّة نازلة قبل سورة براءة التي فيها آية الاستغفار بسبع سور [٥] .

إنّ هذه الآية نزلت يوم بدر وكانت في السنة الثانية من الهجرة الشريفة، أو نزلت على ما في بعض التفاسير في أُحد، وكانت في السنة الثالثة باتفاق الجمهور كما قاله الحلبي في السيرة، فعلى هذه كلها نزلت هذه الآية قبل آية الاستغفار بعدّة سنين.

وقال تعالى: (يا أيّها الذين آمنوا لا تتخذوا الكافرين أولياء من دون المؤمنين أتريدون أن تجعلوا للهِ عليكم سلطاناً مبيناً) [٦].

وهذه الآية من سورة النساء وهي مكّية على قول النحاس وعلقمة وغيرهما ممّن قالوا: إنّ قوله تعالى: يا أيّها الناس. حيث وقع إنّما هو مكّي [٧] وإن أخذنا بما صحّحه القرطبي في تفسيره [٨]وذهب إليه الآخرون من أنّها مدنيّة أخذاً بما في صحيح البخاري [٩]من حديث عائشة: ما نزلت سورة النساء إلاّ وأنا عند رسول الله(صلى الله عليه وآله)فإنّها نزلت في أوليات الهجرة الشريفة بالمدينة، وعلى كلٍّ من التقديرين فإنّها نزلت قبل سورة براءة التي فيها آية الاستغفار بإحدى وعشرين سورة كما في الإتقان [١٠].

وقال سبحانه:(الّذين يتّخذون الكافرين أولياء من دون المؤمنين أيبتغون عندهم العزّة) [١١].

وهذه الآية من سورة النساء وقد عرفت أنّها قد نزلت قبل سورة براءة.

وقال تعالى: (لا يتّخذ المؤمنون الكافرين أولياء من دون المؤمنين ومن يفعل ذلك فليس من الله في شيء إلاّ أن تتّقوا منهم تقاة ويحذّركم الله نفسه وإلى الله المصير) [١٢].

وهذه الآية من سورة آل عمران، وقد نزل صدرها الى بضع وثمانين آية في أوائل الهجرة الشريفة، يوم وفد نجران كما في سيرة ابن هشام [١٣]، وأخذاً بما رواه القرطبي وغيره [١٤] نزلت هذه الآية في عبادة بن الصامت يوم الأحزاب وكانت في الخمس من الهجرة، وعلى أيّ من التقديرين وغيرهما فقد نزلت آل عمران قبل سورة براءة وآية الاستغفار بأربع وعشرين سورة كما في الإتقان [١٥].

وقال تعالى: (سواء عليهم أستغفرت لهم أم لم تستغفر لهم لن يغفر الله لهم...) [١٦].

وقد نزلت عام غزوة بني المصطلق سنة ست وهو المشهور عند أصحاب المغازي والسير كما قال ابن كثير [١٧]. ونزلت قبل البراءة بثمان سور كما في الإتقان [١٨].

وقال تعالى: (يا أيّها الذين آمنوا لا تتّخذوا آباءكم وإخوانكم أولياء إن استحبوا الكفر على الإيمان ومن يتولّهم منكم فأُولئك هم الظالمون) [١٩].

وقال تعالى: (استغفر لهم أو لا تستغفر لهم إن تستغفر لهم سبعين مرّة فلن يغفر الله لهم) [٢٠].

وهذه الآية وما قبلها من سورة التوبة نزلتا قبل آية الاستغفار.

أترى أنّ النبيّ(صلى الله عليه وآله) مع هذه الآيات النازلة قبل آية الاستغفار كان يستغفر لعمّه طيلة مدّة سنين وقد مات كافراً ـ والعياذ بالله ـ وهو ينظر إليه من كثب؟ لاها الله، حاشَ نبيّ العظمة [٢١].

ولعلّ لهذه الأسباب كلها استبعد الحسين بن الفضل نزولها في أبي طالب، وقال: هذا بعيد، لأنّ السورة من آخر ما نزل من القرآن ، ومات أبو طالب في عنفوان الإسلام والنبيّ (صلى الله عليه وآله)بمكّة، وذكره القرطبي وأقرّه في تفسيره [٢٢].

٤ ـ إنّ هناك روايات عديدة تضادّ هذه الرواية التي زعموا أنّها تفسّر سبب نزول آية الاستغفار من سورة براءة منها: صحيحة، أخرجها الطيالسي وابن أبي شيبة وأحمد والترمذي والنسائي وأبو يعلى وابن جرير وابن المنذر وابن أبي حاتم وأبو الشيخ والحاكم وصحّحه ابن مردويه والبيهقي في شعب الايمان والضياء في المختارة عن عليّ، قال: سمعت رجلاً يستغفر لأبويه وهما مشركان، فقلت : تستغفر لأبويك وهما مشركان ؟ فقال: أوَلم يستغفر إبراهيم؟ فذكرت ذلك للنبي(صلى الله عليه وآله) فنزلت: (ما كان للنبي والذين آمنوا أن يستغفروا للمشركين ولو كانوا أُولي قربى من بعد ما تبيّن لهم أ نّهم أصحاب الجحيم* وما كان استغفار إبراهيم لأبيه إلاّ عن موعدة وعدها إيّاه فلمّا تبيّن له أنّه عدوٌّ لله تبرّأ منه إنّ إبراهيم لأوّاه حليم) [٢٣].

يظهر من هذه الرواية أنّ عدم جواز الاستغفار للمشركين كان أمراً معهوداً قبل نزول الآية، ولذلك ردع عنه مولانا أمير المؤمنين الرجل، وقوله(عليه السلام) : هذا لا يلائم استغفار النبي(صلى الله عليه وآله)لعمّه على تقدير عدم إسلامه، وترى الرجل ما استند قطّ في تبرير عمله الى استغفار رسول الله(صلى الله عليه وآله)لعمّه بأنّه(صلى الله عليه وآله) قطّ لا يستغفر لمشرك.

قال السيّد زيني دحلان في أسنى المطالب [٢٤]: هذه الرواية صحيحةٌ، وقد وجدنا لها شاهداً برواية صحيحة من حديث ابن عبّاس(رضي الله عنه) قال: كانوا يستغفرون لآبائهم حتى نزلت هذه الآية، فلما نزلت أمسكوا عن الاستغفار لأمواتهم ولم ينهوا أن يستغفروا للأحياء حتى يموتوا ثم أنزل الله تعالى: (وما كان استغفار إبراهيم... الآية) يعني استغفر له وهو على قيد الحياة، فلمّا مات أمسك عن الاستغفار له، قال: وهذا شاهدٌ صحيحٌ فحيث كانت هذه الرواية أصح; كان العمل بها أرجح ، فالأرجح أ نّها نزلت في استغفار أُناس لآبائهم المشركين لا في أبي طالب .

ومنها: ما أخرجه ـ في سبب نزول آية الاستغفار ـ مسلم في صحيحه ، وأحمد في مسنده ، وأبو داود في سننه، والنسائي وابن ماجة عن أبي هريرة: أنّ رسول الله(صلى الله عليه وآله) أتى قبر أُمّه فبكى وأبكىمَن حوله، فقال رسول الله(صلى الله عليه وآله) : استأذنت ربّي في أن أستغفر لها فلميأذن لي، واستأذنته أن أزور قبرها فأذن لي، فزوروا القبور فإنّهاتذكرة الآخرة [٢٥].

وأخرج الطبري والحاكم وابن أبي حاتم والبيهقي عن ابن مسعود وبريدة ، والطبراني وابن مردويه والطبري، من طريق عكرمة عن ابن عباس: أنّه(صلى الله عليه وآله) لمّا أقبل من غزوة تبوك اعتمر فجاء قبر أُمّه، فاستأذن ربّه أن يستغفر لها، ودعا الله تعالى أن يأذن له في شفاعتها يوم القيامة، فأبى أن يأذن فنزلت الآية [٢٦].

وأخرج الطبري في تفسيره [٢٧] عن عطيّة أنّه لمّا قدم رسول الله(صلى الله عليه وآله) مكّة وقف على قبر أُمّه حتى سخنت عليه الشمس رجاء أن يؤذن له فيستغفر لها حتى نزلت: (ما كان للنبيّ ... الى قوله ـ تبرَّأ منه).

وروى الزمخشري في الكشّاف [٢٨] حديث نزول الآية في أبي طالب، ثمّ ذكر هذا الحديث في سبب نزولها وأردفها بقوله: وهذا أصحّ لأنّ موت أبي طالب كان قبل الهجرة وهذا آخر ما نزل بالمدينة.

وقال القسطلاني [٢٩] : قد ثبت أنّ النبي(صلى الله عليه وآله) أتى قبر أمّه لمّا اعتمر فاستأذن ربّه أن يستغفر لها فنزلت هذه الآية ، رواه الحاكم وابن أبي حاتم عن ابن مسعود، والطبراني عن ابن عباس، وفي ذلك دلالة على تأخّر نزول الآية عن وفاة أبي طالب والأصل عدم تكرار النزول.

قال الأميني: هلاّ كان رسول الله(صلى الله عليه وآله) يعلم الى يوم تبوك بعد تلكم الآيات النازلة التي أسلفناها في [٣٠]، أنّه غير مسوغ له وللمؤمنين الاستغفار للمشركين والشفاعة لهم؟ فجاء

يستأذن ربّه أن يستغفر لأُمّه ويشفعها، أو كان يحسب أنّ لأُمّه حساباً آخر دون سائر البشر؟ أو أنّ الرواية مختلفة تمسّ كرامة النبي الأقدس، وتدنّس ذيل قداسة أُمّه الطاهرة عن الشرك.

ومنها: ما أخرجه الطبري في تفسيره [٣١] عن قتادة قال: ذكر لنا أنّ رجالاً من أصحاب النبي(صلى الله عليه وآله)، قالوا: يا نبيّ الله! إنّ من آبائنا من كان يحسن الجوار، ويصل الرحم، ويفكّ العاني، ويوفي بالذمم، أفلا تستغفر لهم؟ قال النبي(صلى الله عليه وآله): والله لأستغفرن لأبي كما استغفر إبراهيم لأبيه فأنزل الله : (ما كان للنبي (صلى الله عليه وآله)...) ثمّ عذر الله إبراهيم عليه الصلاة والسلام فقال: (وما كان استغفار إبراهيم لأبيه... الى قوله : تبرّأ منه).

وأخرج الطبري من طريق عطية العوفي عن ابن عبّاس أنّه قال: إنّ النبي(صلى الله عليه وآله) أراد أن يستغفر لأبيه فنهاه الله عن ذلك بقوله: (ما كان للنبي والذين آمنوا أن يستغفروا للمشركين..) الآية. قال: فإنّ إبراهيم قد استغفر لأبيه فنزلت: (وماكان استغفار إبراهيم لأبيه إلاّ عن موعدة) [٣٢].

وفي هاتين الروايتين نصّ على أنّ نزول الآية الكريمة في أبيه وآباء رجل من أصحابه(صلى الله عليه وآله)لا في عمّه ولا في أُمّه.

ومنها: ماجاء به الطبري في تفسيره، حيث قال: قال آخرون: الاستغفار في هذا الموضع بمعنى الصلاة . ثم أخرج من طريق المثنى من عطاء بن أبي رباح قال: ما كنت أدع الصلاة على أحد من أهل هذه القبلة ولو كانت حبشيّة حبلى من الزنا، لأنّي لم أسمع الله يحجب الصلاة إلاّ عن المشركين ، يقول الله : (ما كان للنبيّ والّذين آمنوا أن يستغفروا للمشركين.. الآية) [٣٣].

وهذا التفسير إن صحّ فهو مخالف لجميع ما تقدم من الروايات الدالّة على أن المراد من الآية هو طلب المغفرة ، كما هو الظاهر المتفاهم من اللفظ.

ونفس هذا الاضطراب والمناقضة بين هذه المنقولات وبين ما جاء به البخاري ممّا يفتُّ في عضد الجميع، وينهك من اعتباره، فلا يحتجّ بمثله ولا سيما في مثل المقام من تكفير مسلم بارّ، وتبعيد المتفاني دون الدين عنه.

٥ ـ إنّ المستفاد من رواية البخاري نزول آية الاستغفار عند موت أبي طالب كما هو ظاهر ما أخرجه إسحاق بن بشر وابن عساكر عن الحسن حيث قال: لما مات أبو طالب قال النبي(صلى الله عليه وآله): إنّ إبراهيم استغفر لأبيه وهو مشرك وأنا استغفر لعمّي حتى أبلغ، فأنزل الله (ما كان

للنبي والذين آمنوا أن يستغفروا للمشركين.. الآية). يعني به أبا طالب، فاشتدّ على النبي(صلى الله عليه وآله) فقال الله لنبيّه(صلى الله عليه وآله): (وما كان استغفار إبراهيم لأبيه إلاّ عن موعدة وعدها إيّاه) [٣٤] .

وقد ناقضها ما أخرجه ابن سعد وابن عساكر عن عليّ قال: أخبرت رسول الله(صلى الله عليه وآله) بموت أبي طالب فبكى فقال: اذهب فغسّله وكفّنه وواره، غفر الله له ورحمه. ففعلت وجعل رسول الله(صلى الله عليه وآله)يستغفر له أيّاماً ، ولا يخرج من بيته حتى نزل جبرئيل(عليه السلام) بهذه الآية: (ما كان للنبيّ والذين آمنوا) ... الآية.

ولعلّه هو ظاهر ما أخرجه ابن سعد وأبو الشيخ وابن عساكر من طريق سفيان بن عيينة عن عمر قال: لمّا مات أبو طالب قال له رسول الله(صلى الله عليه وآله) : رحمك الله وغفر لك، لا أزال استغفر لك حتى ينهاني الله ، فأخذ المسلمون يستغفرون لموتاهم الذين ماتوا وهم مشركون فأنزل الله: (ما كان للنبي والذين آمنوا أن يستغفروا للمشركين) [٣٥].

لكن الأُمّة أصفقت على أنّ نزول سورة البراءة التي تضمّنت الآية الكريمة آخر ما نزل من القرآن، وكان ذلك بعد الفتح، وهي التي بعث بها رسول الله(صلى الله عليه وآله) أبا بكر ليتلوها على أهل مكة، ثم استرجعه بوحي من الله سبحانه وقيّض لها مولانا أمير المؤمنين فقال: لا يبلّغها عنّي إلاّ أنا أو رجلٌ منّي [٣٦] وقد جاء في صحيحة مرّت من عدّة طرق: أنّ آية الاستغفار نزلت بعدما أقبل رسول الله(صلى الله عليه وآله) من غزوة تبوك وكانت في سنة تسع، فأين من هذه كلّها نزولها عند وفاة أبي طالب أو بعدها بأيّام ؟ وأنّى يصحُّ ما جاء به البخاري ومن يشاكله في رواية البواطيل؟ [٣٧].

٦ ـ إنّ سياق الآية الكريمة ـ آية الاستغفار ـ سياق نفي لا نهي، فلا نصّ فيها على أنّ رسول الله(صلى الله عليه وآله) استغفر فنهي عنه، وإنّما يلتئم مع استغفاره لعلمه بإيمان عمّه، وبما أنّ في الحضور كان من لا يعرف ذلك من ظاهر حال أبي طالب الذي كان يماشي به قريشاً، فقالوا في ذلك أو اتّخذوه مدركاً لجواز الاستغفار للمشركين، كما ربّما احتجوا بفعل ابراهيم(عليه السلام)، فأنزل الله سبحانه الآية وما بعدها من قوله تعالى: (وما كان استغفار إبراهيم.. الآية) تنزيهاً للنبي(صلى الله عليه وآله)وتعذيراً لإبراهيم(عليه السلام)، وإيعازاً الى أنّ من استغفر له النبي(صلى الله عليه وآله) لم يكن مشركاً كما حسبوه، وأنّ مرتبة النبوّة تأبى عن الاستغفار

للمشركين، فنفس صدوره منه(صلى الله عليه وآله) فيه برهنةٌ كافيةٌ على أنّ أبا طالب لم يكن مشركاً، وقد عرفت ذلك أفذاذ من الأُمّة، فلم يحتجّوا بعمل النبي(صلى الله عليه وآله)لاستغفارهم لآبائهم المشركين، وإنّما اقتصروا في الاحتجاج بعمل إبراهيم(عليه السلام)، كما مرّ في صحيحة عن مولانا أمير المؤمنين(عليه السلام) إذ قال: سمعت رجلاً يستغفر لأبويه وهما مشركان فقلت: تستغفر لأبويك وهما مشركان؟ قال: أوَلم يستغفر إبراهيم؟. الحديث [٣٨]

ولو كان يعرف هذا الرجل أبا طالب مشركاً لكان الاستدلال لتبرير عمله باستغفار نبيّ الإسلام له ـ ولم يكن يخفى على أحد ـ أولى من استغفار إبراهيم لأبيه لكنّه اقتصر على ما استدلّ به.

٧ ـ وإنّا على تقدير التسليم لرواية البخاري، وغضّ الطرف عمّا سبق عن العبّاس من أنّ أبا طالب لهج بالشهادتين ، حتّى قال رسول الله(صلى الله عليه وآله) : الحمدلله الذي هداك يا عمّ! وما مرّ عن مولانا أمير المؤمنين من أ نّه ما مات حتى أعطى رسول الله من نفسه الرضا، وما مرّ من قوله(صلى الله عليه وآله): كلُّ الخير أرجو من ربّي لأبي طالب وما مرّ من وصيّة أبي طالب عند الوفاة لقريش وبني عبدالمطلب، بإطاعة محمد(صلى الله عليه وآله)واتّباعه والتسليم لأمره، وأنّ فيه الرشد والفلاح، وأنّه(صلى الله عليه وآله)الأمين في قريش والصدّيق في العرب. الى سائر النصوص الجمّة في نثرها ونظمها، فبعد غضّ الطرف عن هذه كلّها لا نسلّم أنّ أبا طالب(عليه السلام)أبى إظهار الإيمان في ساعته الأخيرة حين قال: على ملّة عبدالمطلب . ونحن لا نرتاب في أنّ عبدالمطلب سلام الله عليه كان على المبدأ الحقّ، وعلى دين الله الذي ارتضاه للناس ربّ العالمين يومئذ، وكان معترفاً بالمبدأ والمعاد، عارفاً بأمر الرسالة، اللائح على أساريره نورها، الساكن في صلبه صاحبها. وللشهرستاني حول سيّدنا عبدالمطلب كلمة ذكرنا جملة منها في الجزء السابع [٣٩] فراجع الملل والنحل والكتب التي [٤٠] ألّفها السيوطي في آباء النبي(صلى الله عليه وآله)حتى تعرف جليّة الحال، فقول أبي طالب(عليه السلام): على ملّة عبدالمطلب. صريح في أنّه معتنق تلكم المبادئ كلّها، أضف الى ذلك نصوصه المتواصلة طيلة حياته على صحّة الدعوة المحمّدية [٤١].

أما الروايات والأشعار التي استدلّوا بها على كفر أبي طالب فهي كالآتي:

أ ـ استدلّوا بقول أبي طالب:

فوالله، لولا أن أجيء بسبة [٤٢] *** تجر على أشياخنا في المحافل

لكنا اتبعناه على كل حالة *** من الدهر جداً غير قول التهازل [٤٣]

وقوله:

لولا الملامة أو حذارى سبة *** لوجدتني سحاً بذاك مبيناً [٤٤]

ويلاحظ على هذين القولين أنّه يجد الحرج في الإعلان عن إسلامه، ولكنه يؤكد بهما حقيقة إيمانه. ومن ثم كيف يقال: إنه مات على ما كان عليه قبل الإسلام؟

ب ـ واستدلّوا بما رواه ابن اسحاق من أنه(صلى الله عليه وآله) طمع في إسلام أبي طالب لمّا رأى منه قبل وفاته.

فجعل يقول له: أي عم! قلها ـ أي كلمة التوحيد ـ استحلّ لك بها الشفاعة يوم القيامة فأجابه أبو طالب: يا ابن أخي! والله ـ لولا مخافة السبة عليك وعلى بني أبيك من بعدي، وأن تظن قريش أنني إنّما قلتها فزعاً من الموت، لقلتها، ولا أقولها إلاّ لأسرّك بها [٤٥]، فلما تقارب الموت من أبي طالب; نظر العباس إليه فوجده يحرّك شفتيه، فأصغى إليه بأذنيه، ثم قال: يا ابن أخي! لقد قال أخي الكلمة التي أمرته أن يقولها، فقال رسول الله(صلى الله عليه وآله): لم أسمع [٤٦] فهو هنا مؤمن، ولكنه يخاف ـ من إعلان إسلامه ـ السبّة على محمّد (صلى الله عليه وآله)وعلى بني أبيه.

ولعمري كيف يمكن أن يكون إسلام أبي طالب سبّة على محمد(صلى الله عليه وآله) وهو نبي الإسلام، الداعي إليه، متحملاً من الإيذاء في سبيله ما لا يقبل لغيره به، إذا أسلمنا جدلاً أنه يكون سبّة على بني أبيه؟ بل هل يدعو النبي الى ما فيه سبة عليه؟ وكيف يتصور أن يكون إسلام أبي طالب حينئذ سبّة على بني أبيه؟ وقد كان علي وجعفر وعمّهما حمزة، كلهم في ذلك الوقت مسلمين فعلاً بصورة علنية.

على أنه كيف يتصور أن يهتم العباس بأن يتابع شفتي أبي طالب حينئذ ، ويتسمّع إليه بأذنيه ليتأكد مما يقوله في شأن هذا الذي أمره به النبي(صلى الله عليه وآله). وهو لما يعرف عنه الإسلام بعد، والتاريخ يذكر أنه ظل على موقفه من الإسلام حتى شهد بدراً في صفوف المشركين، وكان من أسراها؟

وحينئذ ، كيف يتصور إذا كان إسلام أبي طالب سبّة على بني آباء محمد (صلى الله عليه وآله) ، أن يحقّق العباس هذه السبّة، فيقول للنبي(صلى الله عليه وآله): يا ابن أخي! لقد قال أخي الكلمة

التي أمرته أن يقولها وكيف يتصور ـ إذا كان ذلك قد حدث فعلاً ـ أن يقول النبي(صلى الله عليه وآله): لم أسمع مع أنه هو الذي أمره أن يقولها، وأخبره عمّه بنطقه بها؟

ج ـ واستدلّوا أيضاً بما روي أن عليّاً(عليه السلام) جاء الى رسول الله(صلى الله عليه وآله)ـ حين مات أبو طالب ـ فقال: إن عمّك الضال قد مات، فقال: إذهب فغسّله وكفّنه وواراه [٤٧] فكيف يتفق هذا مع ما سبقت روايته عن الإمام علي نفسه من أن أبا طالب ما مات حتى أعطى رسول الله(صلى الله عليه وآله)من نفسه الرضا؟ وإذاً فلابد أن تكون إحدى الروايتين مكذوبة أيضاً على علي(عليه السلام).

ولو سلّمنا جدلاً أن أبا طالب لم يعلن إسلامه قبل مماته، فهل يذكر أحد أنه لم يدع وسيلة لنصرة النبي(صلى الله عليه وآله) وحماية دعوته إلاّ واتبعها؟

وهل من كان هذا شأنه يستحقّ من ابنه المسلم، أن يقول عنه ـ حين مماته ـ لرسول الله: إن عمّك الضال قد مات؟!

أفلا كان يكفيه ، وهو ربيب النبي(صلى الله عليه وآله) ، والمنشأ على أخلاق الإسلام والمتربّي على عفّة اللسان أن يقول حينئذ: إن عمّك قد مات، دون أن يصفه بالضلال؟

وهل هذا من بر الوالدين الذي نزل به القرآن من مثل قوله تعالى: (وصاحبهما في الدنيا معروفاً واتّبع سبيل من أناب إليّ) [٤٨].

وعلى أساس ما تقدم ، نتساءل: الى أي مدى يمكن اعتبار ما نسب الى أبي طالب من الشعر ـ على تعارضه ـ دليلاً على أنه أسلم بالفعل أو لم يسلم؟

والى أي مدى يمكن اعتبار الروايات التي استعرضناها ـ على تعارضها فيما بينها أيضاً ـ دليلاً لهذا الفرض أو ذاك؟

لاشك أن النظرة الدقيقة الى الظروف التي أوحت بهذا الشعر أو ذاك أو بهذه الرواية أو تلك، والى البيئة النفسية التي انتجت كلاً منهما، والى التيارات السياسية التي تقاذفتها عبر قرون زاخرة بالتعصب المذهبي، الذي فرض نفسه على الأفكار والآراء على صعيد العالم الإسلامي كله، طولاً وعرضاً... كل ذلك ينبغي أن يكون في الاعتبار عند النظرة الى هذا الشعر أوذ اك، والى هذه الرواية أو تلك، عن إسلام أو عدم إسلام أبي طالب، الذي شاء له القدر ـ بلا نزاع من أي من

الفريقين ـ أن يكون كافل النبي(صلى الله عليه وآله) وهو طفل، وراعيه وهو يافع، وحاميه عند مبعثه، حيث لم يكن له بين الناس حام سواه.

وإذا كان مما لا خلاف فيه أيضاً أن ما جرى لأهل البيت(عليهم السلام)خلال القرون المتوالية على الأُمّة الإسلامية من جحود وقطيعة ـ بعد وفاة النبي(صلى الله عليه وآله) ـ كان كفيلاً بأن يحول بين صفحات التاريخ وبين أن تخط فيها كلمة إنصاف يكتبها قلم، أو تنطقها شفتان، تثني عليهم أو تعترف بفضلهم.

فلقد كانت الحرب ـ ولا تزال بصورة أو بأُخرى ـ معلنة عليهم في كل زمان ومكان. ولقد تعقّبوهم في النفس والولد والمال والسمعة، ولاحقتهم الأحقاد باللعن والسب والإساءة... وحلّ بهم التنكيل والتقتيل في كل مكان. ولم يكن عجباً ـ والحالة هذه ـ أن يتناولهم كثير من الكتّاب ، ورواة الأنباء والأخبار بما يستجيب ويتمشى مع النزعات السياسية والمذهبية المخالفة بما يثلبهم ويقدح فيهم، ويحرف الحقيقة في شأنهم، وأن يكون موقف ذوي الضمير من هؤلاء، وهؤلاء متمثّلاً في إهمال أمرهم، وعدم التعرض لذكرهم بسلب أو بإيجاب، خشية من أن ينالهم ما ينالهم من الأذى والنكال والعقاب، مما كان يحلّ بكل من اتّخذ الموقف الحق منهم. ولدينا في أحداث تاريخنا المعاصر، ما يمدنا بالأمثلة الصارخة والمتعددة، مما يحدث للمعارضين تجاه الحكّام.

ومن ثم فإذا تسرّب إلينا ـ من خلال هذا الحصار والإعصار ـ شيء من سيرتهم المضيئة، أو قبس من أقوالهم ومواقفهم المعبرة عن حقيقة الإسلام، أو شعلة من معالم سلوكهم الرشيد; فلاشك أنه حدث في غفلة من الطغاة وأعوانهم، وعلامة بارزة على أن العقيدة ـ حين تملك على الإنسان وجدانه وسلوكه ـ تدعوه أن يتحدى الأوضاع ، ليتغلب عليها بقدر الإمكان. وهذا هو الذي ظهر فيما بعد حتى أصبح مادة لما نقوله الآن.

لقد وصل إلينا ـ رغماً عن كل الموانع والعوائق ـ شعر يحدّثنا عن إسلام أبي طالب، منسوباً إليه، وروايات تاريخية تؤكد ذلك أنّه منه، أفلا يكون هذا مرجّحاً لما روي من هذا أو ذاك، على ما روي عن الجانب الآخر النافي لإسلامه؟

إن الأمر ـ حينئذ والحالة هذه ـ إن لم يرق الى رتبة الدليل، فإنه بلا شك لا ينزل عن مرتبة القرينة القوية التي تصل بانضمام غيرها من القرائن الى مرتبة الدليل القوي، والبرهان الجلي، دون أن يعنى هذا تهويناً من نسبة هذا الشعر الى أبي طالب، أو صحّة تلك الروايات بما فيها من دلالة

صريحة على إسلامه، فقد ورد ذكرهما في كثير من الكتب والمراجع التاريخية المعترف بوثاقتها، وصحّة نقلها مثل: تاريخ ابن كثير، وسيرة ابن هشام، وشرح نهج البلاغة لابن أبي الحديد، ومستدرك الحاكم وغيرها.

ومن ثم فإننا نضم الى تلك القرينة القوية غيرها من القرائن الآتية، وسنجد أنها كلها يأخذ بعضها برقاب بعض، مؤكدة إسلام أبي طالب، حتى لا يبقى في ذلك مجال للشك، وذلك أنه من المعلوم أن رابطة الدين هي أقوى الروابط الاجتماعية، وأمامها تذوب بل تزول وتتلاشى سائر الروابط النسبية والسببية، أيّاً كان نوعها، وأيّاً كانت درجة كل نوع منها، حتى لقد يبلغ من قوة تأثيرها أن تدفع الأخ لأن يحارب ـ في سبيلها ـ أخاه، بل وابنه وأباه، وأنها تمنع التوارث بمجرّد اختلافها، وأن الولاء والتناصر يتحققان بين المتفقين فيها ، مهما تباعدوا نَسَبياً، أو تفاوتوا اجتماعياً.

ومن ثم لا يمكن أن يقال: إن رابطة القرابة كانت سبب نصرة أبي طالب لرسول الله(صلى الله عليه وآله)وحمايته له من أعدائه، تلك الحماية التي لولاها لما أمكن للدعوة الإسلامية أن تأخذ مسارها نحو الشيوع والانتشار، وإلاّ فقد كان أبو لهب أيضاً ـ وبنفس المقدار ـ جديراً بنفس النصرة والحماية ، فكلاهما عمّ لرسول الله ولكن أبا لهب على العكس من أبي طالب، فقد كان حرباً عواناً على محمد(صلى الله عليه وآله)وعلى دينه وأتباعه، بكل صنوف الحرب وأنواع الإيذاء [٤٩].

د ـ حديث الضحضاح:

روى بعض الكتّاب مثل البخاري [٥٠]، ومسلم عن رواة نظير سفيان بن سعيد الثوري، عبدالملك بن عمير، عبدالعزيز بن محمّد الدراوردي حديثاً نسبوه الى رسول الله(صلى الله عليه وآله) أنه قال عن أبي طالب(رحمه الله): وجدتُه في غمرات من النّار فأخرجته الى ضحضاح.

لعلّه تنفعه شفاعتي يوم القيامة فيُجعل في ضَحضاح من النّار يبلغُ كعبيه، يغلي منه دماغُهُ [٥١].

إنّ هذه الرواية وإن كانت تكذّبها عشرات الأحاديث والروايات الإسلامية، والدلائل القاطعة الساطعة ، وتثبت بطلانها وتفاهتها، ولكننا بهدف الوصول الى مزيد من التوضيح نعمد الى دراسة أمرين مرتبطين بهذا الحديث:

١ ـ ضعف أسناد هذه الرواية:

إنّ رواة هذه الرواية ـ كما أسلفنا ـ هم عبارة: عن سفيان بن سعيد الثوري، وعبدالملك بن عمير، وعبدالعزيز بن محمّد الدراوردي، الذين سندرس أحوالهم واحداً واحداً ـ في ضوء أقوال علماء الرجال، المعترف بهم عند أهل السنّة ـ فيما يلي:

أ ـ سفيان بن سعيد الثوري:

قال أبو عبدالله محمد بن أحمد بن عثمان الذهبي ـ وهو من علماء الرجال عند أهل السنّة ـ في سفيان الثوري : كان يدلّس عن الضعفاء [٥٢].

إنّ هذا الكلام شاهد قوي على وجود التدليس عند الثوري، وعلى روايته عن الضعفاء، أو المجهولين، وهو وصف يُسقطه عن درجة الاعتبار.

ب ـ عبدالملك بن عمير:

قال عنه الذهبي المذكور: طال عمره وساء حفظه.

قال أبو حاتم: ليس بحافظ، تغيّر حفظه.

وقال أحمد: ضعيف يغلط .

وقال ابن معين: مخلط.

وقال ابن خراش: كان شعبة لا يرضاه، وذكر الكوسج عن أحمد بن حنبل: أنه ضعيف جداً [٥٣].

فمن مجموع هذه العبارات، نعرف أن عبدالملك كان يتّصف بصفات عديدة، هي أنه:

١ ـ سيّء الحفظ.

٢ ـ ضعيف.

٣ ـ كثير الغلط.

٤ ـ مخلّط.

ومن الواضح أن كل واحدة من الصفات المذكورة، كافية لأن تبطل الأحاديث التي يرويها عبدالملك بن عمير، والحال أنه قد اجتمعت جميع نقاط الضعف هذه في هذا الرجل.

ج ـ عبدالعزيز محمد الدراوردي:

وقد وصفه علماء الرجال عند أهل السنّة بالنسيان، وقلة الحفظ، فلا يمكن الاستناد الى مرويّاته.

فقد قال أحمد بن حنبل عنه: إذا حدّث من حفظه جاء بأباطيل [٥٤].

وقال أبو حاتم عنه: لا يُحتَجُّ به [٥٥].

وقال أبو زرعة أيضاً: سيّء الحفظ [٥٦]. ومن مجموعة هذه العبارات يتضح بجلاء، أن الرواة الأصليين لحديث الضحضاح ضعفاء في غاية الضعف، الى درجة لا يمكن الاعتماد على شيء من مروياتهم.

٢ ـ نص حديث الضحضاح يخالف الكتاب والسنّة

لقد نُسِب الى النبي (صلى الله عليه وآله) في هذه الرواية أنه أخرج أبا طالب من نار جهنم الى ضحضاح، وبهذا خفّف عنه العذاب، أو أنه(صلى الله عليه وآله)تمنّى أن يشفع له، فيخفِّف الله عنه العذاب، على حين نفى القرآن الكريم والسنّة النبوية الشريفة تخفيف العذاب عن الكفار، كما ونفيا شفاعة أحد في حقّهم.

وعلى هذا الأساس فلو كان أبو طالب كافراً; لم يجز للنبي(صلى الله عليه وآله)أن يخفّف عنه العذاب، أو يتمنّى له الشفاعة في يوم الجزاء.

وبهذا يظهر بطلان محتوى حديث الضحضاح. وإليك فيما يأتي أدلة ما قلناه من الكتاب والسنّة:

### ألف: القرآن الكريم:

قال تعالى:

(والّذين كفروا لهم نارُ جهنّم لا يُقضى عليهم فيموتوا ولا يُخفّف عنهم من عذابها، كذلك نجزي كلّ كفور) [٥٧].

### ب : السنّة النبوية:

إن السنّة النبوية تنفي أيضاً الشفاعة للكفّار، ونورد هنا من باب المثال بعض تلك الأحاديث.

١ ـ روى أبو ذر الغفاري عن رسول الله(صلى الله عليه وآله) قال:

أُعطيت الشفاعة وهي نائلة من أُمتي من لا يشرك بالله شيئاً [٥٨].

٢ ـ روى أبو هريرة عن رسول الله(صلى الله عليه وآله) أنّه قال:

وشفاعتي لمن شهد أن لا إله إلاّ الله مخلصاً، وأنّ محمّداً رسول الله، يصدّق لسانه قلبَه، وقلبُه لسانَه [٥٩].

إن الآيات والروايات المذكورة تثبت بوضوح بطلان نص حديث الضحضاح عند من يقول: بأن أبا طالب مات كافراً.

**ونتيجة البحث هي أن حديث الضحضاح لا أساس له من الصحة لا من جهة السند والطريق، ولا من جهة المتن والنص، ولا يمكن الاستدلال به على ما جاء في متنه من أُمور تخالف الكتاب والسنّة.**

**وبهذا ينهار أقوى دليل يستند إليه الزاعمون في عدم إيمان أبي طالب، وحينئذ لا تجد تأريخاً مستنداً يمكن أن يعارض ما دلّ على إيمان أبي طالب(عليه السلام) [٦٠].**

**خلاصة البحث:**

**فتحصل من خلال البحث أن أبا طالب ، هو الامتداد للخط الإبراهيمي الموحّد.**

**وقد تكفّل النبيّ(صلى الله عليه وآله) بوصيّة من أبيه عبدالمطلب، فرعاه وربّاه وقدّمه على أبنائه، حتى بعثه الله نبيّاً.**

**وتنوّعت أساليب أبي طالب في نصرته للدين الحنيف، فدخل الشِعب المسمّى باسمه وهو على رأس بني هاشم وبني عبدالمطلب، وتحمّل الصعاب في سبيل نصرته والدفاع عنه. وتصدّى للحوارات والمناقشات السياسية حيث كان يمثّل رسول الله(صلى الله عليه وآله) فيها أمام جبهة قريش.**

**وكانت علاقته بالرسول(صلى الله عليه وآله) علاقة حبّ وودّ ووعي وعقيدة، ولم يتفارقا حتى توفي، فتوجّع وتألّم النبي(صلى الله عليه وآله) لموته وترحّم عليه.**

**وثبت من خلال البحث أن الأدلة التي سيقت بكفره لا تمتلك قدرة الإثبات العلمي، وأن حياة أبي طالب وأشعاره ومواقفه وتصاريحه، وتصاريح الرسول والصحابة كلّها تثبت إسلامه.**

**واتّضح أنّ وراء هذا الزعم المكابر وهذه الأُسطورة التاريخية أسبابٌ تاريخية وعوامل نفسية لازالت تسيطر على نفوس مروّجي هذه الأُسطورة الظالمة بشأنه (عليه السلام).**

*******

---

[١] شرح نهج البلاغة: ٣٧٠/١.

[٢] المحلّى ٢١٤/٤ .

[٣] صحيح البخاري: ٥، ١٨٥، باب يستفتونك في آخر سورة النساء، الكشاف ٢: ٣١٥ تفسير الآية ١١٣ من سورة التوبة، تفسير القرطبي ٨: ٢٧٣ تفسير الآية ١١٣ من سورة التوبة، الإتقان ١: ١٧، تفسير فتح القدير للشوكاني: ٢/ ٤١٠، تفسير الآية ١١٣ من سورة التوبة، نقلاً عن ابن أبي شيبة والبخاري والنسائي وابن الضريس وابن المنذر والنحاس وأبي الشيخ وابن مردويه عن طريق البراء بن عازب.

[٤] المجادلة : ٢٢ .

[٥] الاتقان ١: ١٧، وأخرج ابن أبي حاتم والطبراني والحاكم وأبو نعيم والبيهقي وابن كثير كما في تفسيره ٤: ٣٢٩، وتفسير الشوكاني ٥: ١٨٩، وتفسير الآلوسي ٢٨: ٣٧

[٦] النساء: ١٤٤ .

[٧] تفسير القرطبي: ٥/ ١ .

[٨] الجامع لاحكام القرآن: ٥ / ١.

[٩] صحيح البخاري: ٦/ ١٠٠ ـ ١٠١ ، كتاب فضائل القرآن في كتاب التفسير باب تأليف القرآن، وذكره القرطبي في تفسيره: ٥ / ١.

[١٠] الاتقان في علوم القرآن : ١٧/١.

[١١] النساء: ١٣٩.

[١٢] آل عمران: ٢٨.

[١٣] السيرة النبوية: ٥٧٦/٢، باب ما نزل من آل عمران فيهم.

[١٤] تفسير القرطبي: ٤/ ٥٨، تفسير الخازن: ١/ ٢٣٥.

[١٥] الاتقان في علوم القرآن : ١٧/١.

[١٦] المنافقون: ٦.

[١٧] الجامع لأحكام القرآن القرطبي: ١٢٧/١٨، تفسير ابن كثير: ٣٦٩/٤.

[١٨] الإتقان في علوم القرآن: ١٧/١.

[١٩] التوبة: ٢٣ .

[٢٠] التوبة: ٨٠ .

[٢١] الغدير: ١٢/٨، نظرة في الآيات المحرفة في أبي طالب.

[٢٢] الجامع لأحكام القرآن : ٢٧٢/٨ ، ٢٧٣.

[٢٣] التوبة ١١٣ ، ١١٤.

[٢٤] أسنى المطالب: ١٨.

[٢٥] إرشاد الساري في شرح البخاري : ٥٦٠/١٠ ، ١ ـ باب قوله: (إنّك لا تهدي...) ذيل الحديث ٤٧٧٢.

[٢٦] تفسير الطبري: ١١/ ٣١، ارشاد الساري : ٣١٤/١٠، ١٦ ـ باب ما كان للنبي، ذيل الحديث ٤٦٧٥ ، الدر المنثور ٣: ٢٨٣.

[٢٧] جامع البيان في تأويل القرآن: ٣١/١١.

[٢٨] الكشاف: ٣١٥/٢ ، تفسير الآية ١١٣ من سورة التوبة.

[٢٩] ارشاد الساري: ٣١٤/١٠، ١٦ ـ باب ما كان للنبي، ذيل الحديث ٤٦٧٥.

[٣٠] الغدير للأميني: ١٠/٨ ـ ١٢.

[٣١] جامع البيان : ٣١/١١ الطبري.

[٣٢] الدر المنثور: ٥٠٥/٣ ، تفسير الآية ١١٣ من سورة التوبة .

[٣٣] جامع البيان للطبري: ٣١/١١.

[٣٤] الدر المنثور : ٥٠٥/٣، تفسير الآية ١١٣ من سورة التوبة .

[٣٥] الدر المنثور: ٣/ ٥٠٦ تفسير الآية ١١٣ من سورة التوبة.

[٣٦] الغدير : ٦ / ٣٣٨ ـ ٣٥٠ ط ٢ .

[٣٧] الغدير للأميني: ٨ / ١٠ ـ ١٦.

[٣٨] الغدير للأميني: ١٢.

[٣٩] الغدير: ١٧/٨، نظرة في الآيات المحرفة في أبي طالب .

[٤٠] منها: مسالك الحنفا في والدي المصطفى، الدرج المنيفة في الآباء الشريفة، المقامة السندسية في النسبة المصطفوية، التعظيم والمنّة في أن أبوي رسول الله في الجنة، نشر العلمين في إحياء الأبوين، النبل الجليّة في الآباء العليّة.

[٤١] راجع الغدير للأميني : ٣/٨ ـ ١٧.

[٤٢] في بعض النسخ بسنَّة.

[٤٣] سيرة ابن هشام : ٢٨٠/١، شعر أبي طالب في استعطاف قريش.

[٤٤] شرح النهج لابن أبي الحديد : ٥٥/١٤ كتاب ٩، من كتاب له(عليه السلام) الى معاوية.

[٤٥] سيرة ابن هشام : ٤١٨/١ ، طمع الرسول في اسلام أبي طالب.

[٤٦] سيرة ابن هشام : ٤١٨/١ .

[٤٧] شرح السير الكبير لمحمد بن الحسن الشيباني: ١٥٣/١، باب الإسلام ح ١٥٦.

[٤٨] لقمان : ١٥.

[٤٩] راجع عقيدة أبي طالب للسيّد طالب الحسني الرفاعي: ٣١ ـ ٤٢.

[٥٠] صحيح البخاري: ٤/ ٢٤٧، أبواب المناقب، قصّة أبي طالب.

[٥١] صحيح مسلم : كتاب الإيمان: ١٣٥/١ باب شفاعة النبي(صلى الله عليه وآله) لأبي طالب، صحيح البخاري: ٢٤٧/٤، أبواب المناقب، قصة أبي طالب.

[٥٢] ميزان الاعتدال : ٢ / ١٦٩، ترجمة سفيان بن سعيد الثوري رقم ٣٣٢٢.

[٥٣] المصدر السابق : ٦٦٠/٢ ترجمة عبدالملك بن عمير رقم ٥٢٣٥.

[٥٤] المصدر السابق : ٢ / ٦٣٤ ترجمة عبدالعزيز بن محمد الداوري رقم ٥١٢٥.

[٥٥] المصدر السابق.

[٥٦] المصدر السابق .

[٥٧] فاطر: ٣٦.

[٥٨] الترغيب والترهيب: ٤ / ٤٣٣، فصل في الشفاعة ح ٩٣.

[٥٩] المصدر السابق : ٤٣٧، فصل في الشفاعة ح ٩٨.

[٦٠] راجع سيد المرسلين للشيخ جعفر السبحاني: ٥٣٠/١.